جذور الزيتونة

((طفل أومدس))

كتاب يقارب نقاطاً فلسفية

د. غفار محمد

الإهداء :

إلى كل عاشق للفلسفة يهوى القراءة ما بين السطور ..

جذور الزيتونة ...

روسيا / موسكو ..

كنيسة القديس باسيل ..

2033 ..

= أهلا بك في بيت الرب..

= أهلا أبانا.. اعذرني فهذا اعترافي الأول و أجهل الكيفية .. إذ لم أزر كنيسة من قبل ..

صمت الأب للحظات و هو يستذكر حواراً مشابهاً منذ سنين طوال ..

= يبدو من صوتك أنك شاب في مقتبل العمر..

= أتممت ثمانية عشر عاماً بالأمس..

= لا زلت بعمر صغير على خطايا تستحق الاعتراف ! علاقة غير شرعية على ما أعتقد ؟

= لست هنا لكي أعترف أبانا..

ساد الصمت لبرهة..

= لكنك في قمرة الاعتراف يا بني .. الأمور الأخرى نتحدث عنها في العلن و وجهاً لوجه..

= لا .. فهمتني بشكل خاطئ .. لست هنا كي أعترف عن خطاياي .. بل عن خطايا شخص آخر..

= شخص آخر ؟!

= أجل ، إنسان بربري يدّعي أنه والدي .. و أريد مشورتك فيما ينبغي علي فعله للتعامل معه..

= تفضل يا بني .. أنا أسمعك..

تنهد الشاب تنهيدةً عميقة هاربة من عقل عجوز يتحكم بجسده الشاب..

= عشت أعوامي الثمانية عشر المنصرمة في قصر كبير لرجل يدّعي كما قلت بأنه والدي .. لكن مواقف كثيرة و كلمات عابرة منه شخصياً و من آخرين زرعت بذرة الشك في قلبي لتكبر مع الأيام حتى تحولت إلى شبه يقين بأنه ليس والدي الحقيقي ..

= ربما كنت متبنياً ؟

= لا .. حتى في حالة التبني يبقى هنالك شعور أبوي محب .. أما ذلك الرجل فلا يشعر تجاهي بأي شعور .. إنه يسعى جاهداً فحسب لخلق وحش بشري يشبهه في داخلي بدروسه الشاذة و المشوهة عن الحياة التي حاول تلقيني إياها .. لكنه فشل في ذلك طوال تلك السنين ، فهنالك اختلاف جذري بيني و بين ذلك الرجل في كل شيء من الشكل الى المضمون .. أنا إنسان متدين ، أحب البشر الآخرين و أرغب بمساعدتهم و الإصغاء لمعاناتهم .. أما هو فوحش متجسد في شكل إنسان بقلبٍ من حجر .. و ضميرٍ ميت منذ عقود ، فلا يردعه رادع عن فعل أي شيء .. قتل ، اغتصاب ، سرقة ، مخدرات .. هل تصدق وجود رجل من هذا القبيل في الحياة ؟!

لم يجب الأب ، و لاح وجهه المشوش عبر الزجاج الفاصل بينهما يرنو عالياً إلى السماء و يتنهد مع ذكريات بعيدة تستيقظ في ذهنه من جديد لتؤكد شكوكه

= ذلك الرجل هو رجل مافيا .. صحيح ؟

جمد الشاب في مكانه مذهولا..

= بلى .. كيف عرفت ؟!

= لقد التقيته من قبل..

= تعرفه ؟!

= لا .. التقيته مرة واحدة هنا في هذه الكنيسة منذ عقدين من الزمن .. فدار بيننا حوار غريب حفر في ذاكرتي على نحو لا ينسى .. كان يجلس مكانك الآن بالضبط و أراد الاعتراف بذنوبه السابقة ..

= هذا غريب ! .. إنه ليس من النوع الذي يشعر بالذنب .. و كل خطايا الكون لا تهز في رأسه شعرة واحدة !!

= قال لي ذلك .. لكنه برر قدومه للاعتراف بسبب وقوعه في حب أنثى استثنائية متدينة و رقيقة غيرت من طباعه..

= ماريانا ؟!

= لم يذكر لي اسمها .. لكن تبين لي أنه متيم بها..

= لكنه لم يتغير أبداً بعد ذلك اللقاء..

= أعلم .. لأنني حطمت أوهامه التي أتى بها إليّ .. فقد اعتقد أن الاعتراف سيسقط عنه ذنوبه جميعاً ليعود بريئاً كطفل ولد للتو .. لكنني أخبرته أن ذنوبه لن تغتفر حتى يعترف أمام القانون بجرائمه و يحاسب عليها .. فغضب بشدة و اتهمني مع ديني و إلهي بالعجز ، القسوة و تضييع وقته الثمين.. و قبل أن يغادر أقسم أنه سينتقم من السماء على حياته و ظروفه القاسية ، و سيلتقي بي مجدداً ذات يوم ليثبت لي انتصاره على الإله

الوهمي الذي أعبده كما ادعى..

= و يبدو أنه فشل في ذلك ..

= حتى الآن ! الحقيقة لقد ذكر في حواره ذاك ما يعزز شكوكك حوله بأنه ليس والدك !

= صحيح ؟

= أجل .. لقد ذكر لي بأن الأطباء شخصوا إصابته بعقم دائم .. الأمر الذي دفع تلك الفتاة المتدينة الى تركه .. و إن كنت أشك كثيراً بأن هذا هو سبب هجرها له..

= إذا فقد كنت على حق !! .. كلام خطير للغاية أبانا ، لكنه بلا شك يمنحني شعوراً لا يوصف من السلام الداخلي و السعادة .. فلا أريد لذلك الوحش أن يكون والدي بأي شكل من الأشكال .. للأسف من جهة أخرى فهو كلام يطرح أسئلة كثيرة عن جذوري و أصلي .. و من هي عائلتي الحقيقية .. ؟

= محق .. أخشى أنه لا يمكنني مساعدتك في هذا الصدد .. فلم يلمح أبداً لأية إجابات عن هذه الأسئلة..

= و بماذا تشور علي أن أفعله الآن ؟ .. لقد هربت البارحة من قصره و لا شك أنه قد جن و يبحث عني في كل مكان .. تخيل أنه هددني بالقتل بالأمس لأنني أخبرته بنيتي العمل في مجال الغناء و رفضي اتباع نهجه في الحياة كرجل مافيا .. فكيف سيكون رده على

هروبي ؟.. سيقتلني بكل تأكيد في حال وصل إليّ .. فلطالما ذكر أمامي أنه سيسحق كل شخص يتمرد عليه.

= الجأ إلى الشرطة..

= لا فائدة من ذلك .. فهو متغلغل من خلال علاقاته في السلك الجنائي و لديه أصدقاء فاسدون كثر داخله .. سيسلمونني إليه بطريقة ما لينفذ وعيده..

= امنحني دقائق لأفكر يا بني..

= بقدر ما تشاء..

ساد الصمت مطولاً و الشاب يعاين بدهشة تلك الصدفة الغريبة أو ربما القدر الذكي الذي قاده إلى الكرسي الذي جلس عليه " والده " منذ عشرين عام غاضباً و متوعداً .. كم هي صغيرة هذه الدنيا ، و كم هي عبقرية تلك السماء ..!

أخيرا جاءه صوت الأب الرخيم و الحنون ..

= أظن أن بإمكاني مساعدتك بطريقة وحيدة يا بني إن كنت موافقاً عليها.. !

= بالطبع .. أي مساعدة الآن لا ترفض .. فهي تنجيني من موت حتمي !

= يمكنك العيش هنا في الكنيسة لفترة متخفياً .. فالكنيسة هي المكان الوحيد الذي لن يبحث عنك ذلك الرجل فيه ،

فهي تشكل له عقدة نفسية كما استنتجت ، و لم يزرها في حياته سوى في مناسبة اعترافه اليتيمة تلك..

= أقبل بكل امتنان .. رأي حكيم و تفكير سليم و عبقري ..

= كما يمكنك مساعدتنا هنا بالغناء في كورال الترنيم في القداس .. فصوتك جميل كما استنتجت من رغبتك بالغناء..

الشاب بسعادة و ذهول..

= ما أروعك يا أبانا .. إنك تحميني و تتبنى موهبتي في آن معاً !! .. أنا في خدمة الرب بأي طريقة يريدها .. أشكرك .. أشكرك..

= أنا الذي أشكرك .. إن إصرارك على المضي قدماً عكس تيار الخطيئة الذي نشأت فيه ، هو إيمان مثير للإعجاب و إرادة فولاذية تسرّ السماء .. أنت شخص مثالي للانضمام إلى طاقم الكنيسة .. لقد ذكرتني بمقولة أيقونية للصحفي الإنجليزي الشهير **توماس مالكولم موغ ريدج..**

((إن الأسماك الميتة هي وحدها من تمشي مع التيار))

و أنت بعمرك الصغير تنبض بالحياة و تكافح عكس

تيار الموت و الخطيئة الذي نشأت فيه للحفاظ على إيمانك و أخلاقك ، و نحن نثمن عالياً جرأتك هذه و صلابة إيمانك ، إضافةً إلى تخليك عن الثراء و الجاه الذي منحه لك ذلك الرجل في سبيل الحفاظ على أخلاقك و مبادئك..

= مقولة عميقة للغاية..

= بلى ، هي كذلك .. لم يلقب ذلك الصحفي **بعاشق الكنيسة** عن عبث..

صمت للحظات يفكر..

= ابقى مكانك سيد..

= بروميثيوس..

= الأخ بروميثيوس .. سآتي إليك و أصحبك إلى غرفتك الجديدة التي ستقيم فيها .. و غداً لنا كلام آخر .. سأعرفك بطاقم الكنيسة ، و أشرح لك عن عملك الجديد أكثر..

=أشكرك مجدداً أبانا .. أمثالك يعيدون ثقة البشر بالسماء .. و من خلالهم ينتصر الرب على التائهين الأشرار من أمثال المدعو سيرغي و غيره..

****

بينما كان ذلك الحوار يدور في الكنيسة ، جلس أناتولي أمام سيده الغاضب المنهار لا يعرف من أين يبدأ الكلام معه .. فخطة انتقامه التي انتظرها عشرين عاما كاملة انتهت إلى فشل ذريع .. إن نسخ يسوع المسيح التي صنعها و أنفق عليهما ملياري دولار كي يلوي ذراع الاله تملصت من يديه كالزئبق .. الأولى أجهضت مباشرةً ، و الثانية هربت جنيناً في رحم الفتاة النيجيرية أديلا في حين فرّت الثالثة مراهقا بشخصية إنسانية مثالية لا تنحني أو تكسر رغم جهوده الحثيثة المتواصلة لنحتها بإزميل قسوته كما يشاء .. إنه بلا حول و لا قوة .. و الإيغو المتورمة لديه تشعّرت و على وشك التشظّي إلى أشلاء .. ففي الحقيقة سيرغي عانى خلال حياته من **اضطراب الشخصية النرجسية** التي تجمع بين الأنا المتضخمة و الهشاشة النفسية في آنٍ ، و هو كنبات النرجس الذي اشتقت منه تسمية ذلك الاضطراب ، يقتل كل ما يحيط به من نباتات كي ينفرد بالتربة و الغذاء لنفسه ، و أي شخص يؤثر على بيئته السامة تلك يثير في أعماقه حقداً عارماً و جنوناً مخيفاً يدفعه إلى تصفيته و بأبشع الطرق ، فالوجه الآخر لشخصيته هو **الشخصية السادية** التي ورثت اسمها عن الروائي **ماركيز دي ساد** الذي روّج لفلسفة التمتع بتعذيب الآخرين و آلامهم و نفذها عملياً بنفسه مع الفتيات اللاتي اغتصبهنّ .. نرجسية و سادية في خليط متفجر

نادر صنع من سيرغي ذلك الوحش الهمجي..

= أريد ذلك الوغد اللقيط المخنّث بأي طريقة أناتولي .. و سأمنحك مكافأة لم تمر حتى في خيالك إن نجحت في ذلك..

= اتركه سيدي و شأنه .. ركز على حياتك و عملك .. لقد بلغت سبعاً و سبعين سنة .. و لم يعد أمامك متسع من الوقت كي تشغل تفكيرك و وقتك بشخص لا تربطك به أي علاقة .. استمتع بما تبقى أمامك من حياة !..

= أنسى !! لن أعرف طعم الراحة أو المتعة قبل أن أصلب ذاك الوغد بيدي هاتين .. إنها عشرون عاما كاملة يا أناتولي .. جهد ضائع و وقت ثمين لن أسامح عليه .. لن أغادر هذه الحياة مهزوماً ، فأنا لم أعتد سوى على الانتصارات فيها .. و لطالما كان شعاري في الحياة هو مقولة **نابليون بونابرت** العظيمة ذات يوم عندما قيل له أن جبال الألب تمنع جيشه من التقدم فأجاب ببرود و بساطة :

((**إذا علينا أن نمحوها عن وجه الأرض**))

فالجبال نفسها لم تمنعه من تحقيق أحلامه و بلوغ أهدافه .. و هذا ما ينبغي أن أفعله بدوري حتى آخر يومٍ في حياتي.. سأزيل حتى الجبال نفسها من طريقي في معركتي الأخيرة مع السماء ..

= كما ترتأي سيادتك .. سأبذل قصارى جهدي كي أعيده و في أقرب وقت..

****

في صباح اليوم التالي ..

بعد انتهاء قداس الأحد و انصراف المصلين ، جمع الأب **فاسيلي** طاقم الكنيسة مع بروميثيوس ليعرفهم ببعض..

= هذا هو الأخ الجديد في عائلتنا .. **بروميثيوس** .. يتيم ذو ثمانية عشر ربيعاً .. عاش حياته في ميتم ، و اليوم ينذر نفسه لخدمة الرب .. يملك صوتا ملائكياً ، و سيساعد في كورال الترانيم ..

التفت إلى بروميثيوس و أخذ يشير بسبابته إلى الأشخاص أمامه..

= الأخ **ياروسلاف** ، المسؤول المباشر عن التعاملات المالية و تدبير التبرعات لخدمة الكنيسة و المحتاجين .. الأخ **أرون** عاشق البيانو .. عازف محترف يقود الكورال .. الأخ **بافل** ، أكثرنا تنسكا و تعبداً يقضي جل وقته في الصلاة .. الأخت **أناستازيا** ، تزودنا بالطعام اليومي .. الأخت **كارين** تهتم بالحديقة و النباتات حول

الكنيسة كما تعتني بالقطط التي اتخذت من حديقة الكنيسة ملاذا آمناً لها .. .. الأخت **ليا** شغوفة بالقراءة و المطالعة و مرجعيتنا في الأمور الثقافية..

ابتسم بروميثيوس بإعجاب..

= يا لها من عائلة متكاملة سعيدة .. أنتم تملكون هنا ما يحلم به أي إنسان في هذه الحياة .. **العائلة ، المحبة ، الإيمان و مساعدة الآخرين** .. لا شيء آخر هام تقدمه السماء للإنسان .. بقية الأمور مادية بحتة تحجّر العقل ، القلب و الروح .. لقد حرمتني الحياة من الأخوة .. لكنها كعادتها تعوضني الآن بعائلة كاملة..

اقترب منه الأخ بافل المتنسّك و انحنى أمامه ..

= فلسفة غريبة و عميقة من شاب في مقتبل العمر أيها الأخ .. أهنئك عليها ..

تدخلت الأخت ليا عاشقة الثقافة في الحديث بدورها ..

= إن لك من اسمك الغريب عن ثقافتنا نصيبٌ كبير .. بروميثيوس الإله الإغريقي عاشق البشر ..

أحنى بروميثيوس رأسه بخجل ..

= هذا ما يقال لي على الدوام ..

ابتسم الأب فاسيلي تجاه وعيه الكبير و تواضعه المثير للإعجاب..

= لينصرف الجميع إلى غاياتهم .. و أتركك مع الأخ أرون ليشرح لك طبيعة عمل الكورال و ينقل إليك خبرته الموسيقية..

تفرق الجميع في حين اقترب الأخ أرون من بروميثيوس و وضع يده على كتفه مبتسماً..

= اتبعني..

تبعه في ردهات الكنيسة المتشعبة حتى بلغا غرفة جانبية مغلقة .. فتحها أرون..

= تفضل..

دخل بروميثيوس ليجدها غرفة صغيرة متواضعة الأثاث ، مع بيانو ضخم يحتل إحدى زواياها..

اتجه إليه أرون و جلس..

= هل هنالك أي أغنية شهيرة تحفظها جيداً ؟

= بالطبع .. لنقل أغنيتي المفضلة (**بدونك أنا بارد**)..

= خيار مثير للإعجاب .. غنّي مع عزفي..

أخذت أنامل أرون تتنقل بانسيابية مذهلة على درجات

البيانو في حين أخذ بروميثيوس يغني معه بصوت لم يختبره أرون من قبل طوال سنوات عمره الأربعين ، فتوقف عن العزف مدهوشاً ..

= هل هنالك خطب ما ؟

= بالطبع .. صوتك !

بروميثيوس بارتباك..

= هل هو سيء إلى هذه الدرجة ...!؟

= بل هو استثنائي لهذه الدرجة .. كما أنك متمكن تماماً من الغناء .. هل سبق لك و أن تلقيت دروساً .. ؟

= على الإطلاق .. لكنني أملك موهبة فطرية في الغناء و كتابة القصائد أيضاً ..

= مذهل .. موهبة ربانية لا يشق لها غبار .. لماذا لم تستثمرها في الفن ؟

= في الحقيقة هذا كان طموحي ، أن أصبح مغنياً .. لكن الظروف خانتني..

= لا بأس ، لقد وصلت إلى المكان المناسب و الشخص المناسب .. يقول الفيلسوف **ديكارت**..

((الموسيقى هي الفن الوحيد الذي يتّحد مع الدين اتحاداً وثيقاً))

و لدي عرض خاص لك ، قد يجمع ما بين طموحك في الغناء و رغبتك الروحانية في خدمة الكنيسة و الرب..

بروميثيوس بتفاؤل..

= هل أنت جاد ؟

= بالطبع .. ما رأيك أن تكتب قصائد روحانية بنفسك ، ثم أقوم أنا بتلحينها ، بعدها أقوم بنشرها على قناة الكنيسة الرسمية على الشبكة العنكبوتية ، فلدينا ملايين المتابعين كجمهور معد سلفاً لاستقبال موهبتك الفذة هذه

= موافق بدون تفكير أو تردد ، لكن هل سيقبل الأب فاسيلي بذلك ؟

= بالطبع .. فالغناء و الموسيقى هما أحد مداخل الرب الهامة إلى أرواح البشر .. و أنت تملك حنجرة غير عادية .. أكاد أسمح لنفسي بأن ألقبها (**حنجرة السماء**) فصوتك الغريب يثير في النفوس مشاعر روحانية جياشة..

بروميثيوس بخجل..

= هذا إطراء لطيف أخي العزيز .. أشكرك..

= هذا ليس بإطراء بل حقيقة .. عد الآن إلى غرفتك و تفرغ لكتابة قصيدة جديدة .. عليها أن تكون روحانية

تروّج للأخلاق و الإيمان بالطبع .. أما أنا فسأنقل اتفاقنا الجديد إلى الأب فاسيلي ..

غادر بروميثيوس الغرفة و الكون على رحابته لا يتسع لسعادته .. إن الإله رحيم و مذهل على نحوٍ يفجر العقل ، فكما يقال إن أغلق باباً أماك فتح لك بعدها مباشرةً نافذة .. لكنه الآن يغلق أمامه كوة ضيقة ليفتح أمامه بوابة ضخمة كالقلاع .. عائلة جديدة حرم منها طوال حياته .. وسط روحاني متدين يتماهى مع عقليته و طبيعته .. فرصة لا تعوّض كي يعبر عن موهبته و عشقه للغناء بطريقة يخدم فيها الرب و غاياته أيضاً .. إنه لا يحتاج أي شيء آخر من هذه الحياة بعد الآن !!

****

فشلت جميع محولات سيرغي و أناتولي في كشف مكمن بروميثيوس .. لقد تأكدا أنه لم يغادر البلاد عبر أعوانهما .. لكنّ روسيا دولة قارية و البحث عنه فيها أشبه بالبحث عن إبرة في كومة قش .. دون أن يدركا بأن بروميثيوس قريب منهما على نحو لم يتخيلاه ، لكنه في نفس الوقت في المكان الأبعد عن قلبيهما الأسودين الحقودين ..

هنالك في الكنيسة انبرى بروميثيوس بشغف و حماس على كتابة قصيدته الأولى في بيته الجديد و وسط عائلته

الجديدة .. أرادها أن تكون حول أكثر موضوع مقدس في الحياة .. الشيء الذي حرم منه طوال حياته في قصر سيرغي .. إنه **الحب** .. الذي شعر بنفحات منه مع كلبه شعاع ، مدبرة المنزل ستيلا و الغيشا بالنسبة لسيرغي يلينا .. لتتمخّض ساعاتٌ من التفكير عن القصيدة التالية :

مسيح الحب ما جاء .. إلا بهذا العنوانِ

أرواحنا تسمو بالحب .. و الحب بناء الإنسانِ

في الدنيا خطاياك سبعٌ .. و الكره سيجعلها ثمانيِ

فالكره كأحجار الدومينو .. يتلوه خطايا كإدمانِ

و الحب بلسمه شاف .. يشفي زلاتك بغفرانِ

كل دين قد جاء .. توراة إنجيل و قرآنِ

فودو ، بوذي ، تاوي .. أو حتى عبادة أوثانِ

لم يطلب منك سوى حبٍّ .. فالحب كزهر النيسانِ

من عرف الحب فما آذى .. فالقلب كدير الرهبانِ

فيه خشوع فيه صلاة .. و أجراس تعلو كأذانِ

و الحب شرنقة تحوي .. خيراً بشتى الألوانِ

مشاعر تسمو بصاحبها .. تتفجر مثل البركانِ

تصدح كموسيقا بتهوفن .. تترنم كصوت الكروانِ

الحب سفينة تنجيك .. فتقمص دور الربانِ

و انشر محبتك لا تخفِ .. فالكره نظير الكتمانِ

صُمَتَ سجدتَ تصدقتَ .. و تبعتَ جميع الأركانِ

لا قيمة لذاك إن تكره .. لا يثقل كفة ميزانِ

الحب خمر لا يفسد .. يتعتّق بمرور الأزمانِ

كحال بذرة إن طمرت .. تنمو بيادر ريحانِ

أثر الخير أثر فراشة .. لا يعرف درب النسيانِ

و الناس ستذكر محبتك .. لو كنت حبيس الأكفانِ

في اليوم التالي توجه بروميثيوس إلى غرفة أرون .. طرق الباب بهدوء فسمع صوته الرنان من الداخل ..

= تفضل ..

دخل مع شعور من الارتباك يختلج في قلبه، فهو لا يعرف ردة فعل أرون تجاه قصيدته الأولى ..

= أنجزت أولى قصائدي يا أخي..

= بهذه السرعة ؟! أتمنى ألا يكون الإتقان قد خانك .. ناولني إياها..

مد يده المرتجفة بالورقة ، فشرع أرون بقراءتها مع ابتسامة تتسع تدريجياً حتى أنهاها ، ثم التفت إليه بدهشة..

= عمل مذهل ! .. مضمون مميز و موسيقى شعرية انسيابية .. أنت موهوب بالفعل .. هذا بالضبط ما أريده .. ما ينسجم مع توجهات ديننا و كنيستنا .. و أظن أن تلحينه ليس بالأمر العسير .. سيأخذ مني يوماً أو يومين على أبعد تقدير .. ثم سنقوم سوياً بتسجيلها في استديو السيد **تشارشن** .. إنه من رواد الكنيسة الدائمين و عرض علينا خدماته مجاناً كنوع من التبرع .. هناك أقوم بتسجيل تراتيلنا و أغانينا الدينية كلها .. أعتقد أن هذا الكلام العميق مع ألحان مناسبة و حنجرتك السماوية سينجم عنه تحفة فنية مذهلة !!

قرص بروميثيوس ذراعه مبتسماً ..

= أشعر بأن كل ما يمر بي مجرد حلم ! ..

= لا ، أنت لا تحلم ، فهنا في بيت الله لا وجود للأحلام .. إذ أن الله يصيرها حقيقة .. هذا ما وعد به عباده المخلصين (**من جعل نفسه في خدمتي ، جعلت كل شيء في خدمته**).. اجلس بجواري كي نتعاون معاً على تلحين قصيدتك..

كانت توقعات أرون بخصوص الأغنية الجديدة في مكانها بالضبط فبعد تسجيل الأغنية بصوت بروميثيوس الساحر و رفعها على قناة الكنيسة .. انفجرت على

مواقع الشبكة العنكبوتية كبركان ، و بات الكل يتحدث عن صاحب ذلك الصوت الملائكي الملقب (**حنجرة السماء**) كما أشار أرون على بروميثيوس أن يفعل .. و هذا ما أسعد الأب فاسيلي للغاية ، فقد أحب بروميثيوس كالابن الذي لم يحظَ به ، و رؤيته سعيداً و ناجحاً على هذه النحو يمنحه شعوراً لا يوصف بكلام جميع قواميس اللغات..

= أحسنت العمل أيها الأخ بروميثيوس .. و بالطبع أيها الأخ أرون ، لقد أخرجت فناناً عظيماً من أعماقه في فترة قياسية.. !!

أرون نافياً ..

= في الحقيقة أنا لم أفعل أي شيء .. إنه يملك موهبة ربانية في كتابة القصائد مع صوت ساحر قل نظيره و تمكّن فطري من الغناء بمختلف الطبقات..

بروميثيوس بابتسامة امتنان ..

= هذا تواضع منك أخي ارون .. ملاحظاتك القيمة و الدقيقة هي من ساعدتني على التطور بسرعة..

= أشك في ذلك ، لكن أشكرك على كل حال ، أما الآن فعليك البدء بقصيدة جديدة ، إنّ جمهورك الغفير يطالبك بذلك .. اغتنم رياحك عندما تواتيك .. فالفرص تمر كالسحاب في حياتنا ..

= بالطبع ، سأتفرغ من أجلها طوال اليوم..

ثاني المواضيع التي أراد بروميثيوس التطرق إليها كان **قوة الإيمان** .. و بأن من يثق بالله عليه ألا يخشى شيئاً .. و تفتقت موهبته مجدداً عن القصيدة التالية :

تدور الأرض حول الشمس .. بثماني أضعاف الطلقة
لآلاف سنين قد مرت و مسارها أبدا ما اختُرقا
لا تبعد عنها أو تقرب ميكروناً غرباً أو شرقا
إن بعدت عنها فذاك جليد .. و إن قربت ما فيها احترقا
و بعد هذا أراك تعيساً .. تشكو القلق أو الأرق
تذكّر صديقي كل مساء .. و الشمس تودع ذا الأفق
من أحكم مسارها دون حياد .. في حلقة تتلوها الحلقة
لا يعجز عن ضبط حياةٍ .. و الكون بيده قد خلقا
ما بين اللحد و بين المهد .. و قبلها مذ كنت علقة
كتابُ حياتك مخطوطٌ .. بزواج القلم مع الورقة
فاليسر ضيفك أحياناً .. أو عسراً أبوابك طرقا
و الدنيا سرابٌ فلا تتبع .. و تخلى عنه كلو صدقة
من جعل يسوعاً نجمته .. ما تاه و قد بلغ الحق
أما من حاول تحديه .. على نحو مثيرٍ للشفقة

قد أدخل نفسه في نفق .. عتمته كسواد الحدقة

لا تعصي ربك بموبقة .. لا تدخل نفسك ذا النفق

يسوعٌ شمسُ ذي الدنيا .. من أنكر تاه أو غرق

لاقت القصيدة استحسان أرون كسابقتها ، بل آمن أكثر بموهبة بروميثيوس .. تم تلحينها و تسجيلها ثم رفعها على قناة الكنيسة لتكتسح خلال ساعات مواقع التواصل الاجتماعي كتسونامي و تصبح أغنيته (**ترند**) لثلاثة أشهر كاملة .. مما وسع من دائرة شهرته بين الناس أكثر ..

خلال الأسابيع التالية تلقى بروميثيوس عروضا كثيرة للتعاقد مع شركات إنتاج تتبنى موهبته ، دون إلزامه بتغيير توجهه الديني .. لكنه رفضها كلها .. فهو مكتفٍ و راضٍ تماماً بحياته في الكنيسة كما هي .. لقد بدأ مسيرته من هنا و سينهيها هنا أيضاً .. فهنا يملك كل شيء حلم به أو افتقده في حياته (**العائلة** ، **الحب** ، **الإيمان** ، **الغناء**) .. هذا هو قراره ..

****

خلال الأعوام التالية سطع نجم بروميثيوس في أنحاء روسيا قاطبةً .. غنى لكل شيء .. **الحب** ، **الإيمان** ، **الصداقة** ، **التضحية** ، **التسامي** ، **الإحسان** ، **الفقراء** ، **الأيتام** .. **و غيرها** ..

لكن هاجسه و كابوسه الوحيد كان سيرغي لا غير ، إذ لابد أنه سمع بشهرته و عرف مكانه أخيراً ، فهل نساه أم أنه سينفذ وعيده ذات يومٍ ؟! .. ما جهله بروميثيوس تماماً أن سيرغي الذي عرفه كوحش متغطرس لسنوات ، كان في عالم آخر تماماً ، فقد شُخّص خلال الفترة التي ذاع صيته فيها بإصابته بأحد أشرس أنماط مرض يسمى **التصلب اللويحي** الذي يشيع بعيداً عن خط الاستواء كحال موطن سيرغي الأم **دودينكا** في أقصى شمال روسيا .. فقد سيرغي على إثره البصر و من ثم أصيب بشلل زاحف حتى أصبح شاملاً لكامل جسده .. فأصبح طريح الفراش ، ليقضي آخر أيامه مستسلماً بالكامل لمصيره و رافعاً الراية البيضاء في معركته مع السماء و قد أنهكته طعناتها المتتالية و آخرها طعنة مرضه ، فأدرك أنه إنسان بلا حول و لا قوة .. مرض واحد أفقده كل شيء ..

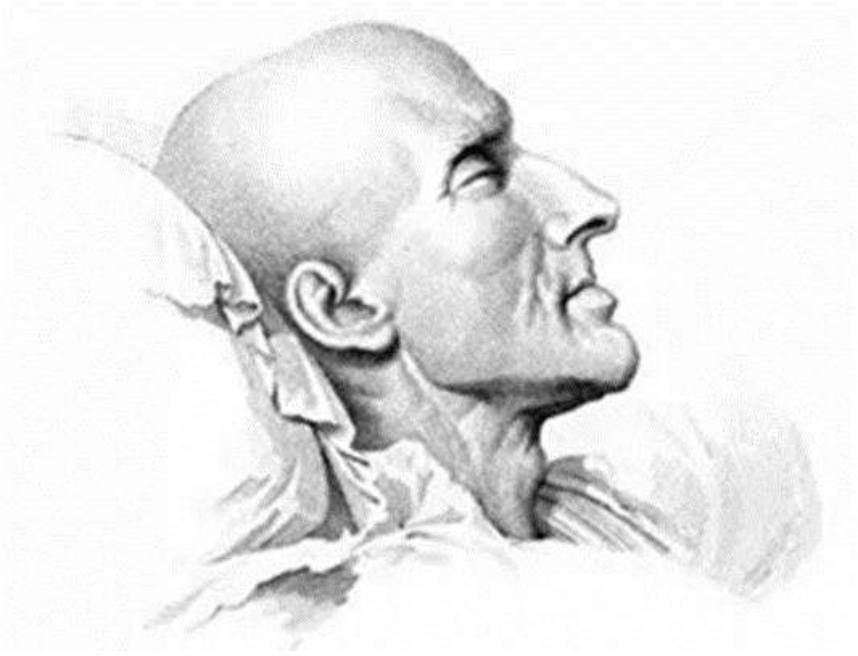

استعان بعشرات الأطباء المخضرمين ، بالطب البديل و حتى بالشعوذة دون فائدة ، لقد هزم تماماً ليصبح حلمه الأخير في فراشه كحلم المليونير الشهير أرسطو أونيسيس أحد أشهر أثرياء العصر الحديث عندما سئل و هو على فراش المرض : (**ما هو حلمك الأخير ؟**) فأجاب : (**أن أعثر على طبيب يشفيني و يأخذ كل ثروتي**) ..

و لعبقرية القدر فقد كان آخر منشور قرأه سيرغي على موقع لافيتا الإخباري قبل أن يفقد بصره يتناول قصة ملياردير كحاله **ماير أمشيل روتشيلد** الجد الأكبر لعائلة روتشيلد اليهودية أغنى عائلة في العالم و التي تتحكم بمصير الأرض قاطبة كما يعتقد كثيرون ، فكانت نهايته عبرة لكل شجع للمال ، ذكر المنشور أن ماير كان مولعاً بثروته بشكل مرضي و يتلذذ بالنظر اليها لساعات طوال يومياً ، فبنى له قصراً كبيراً و فيه خزنة سرية ضخمة جداً جمع فيها مجوهراته من ياقوت ، ذهب ، زمرد و لؤلؤ .. وكان من شدة عشقه للمال لا يسعد بتناول طعامه الا في خزنته و حوله مقتنياته ، كما كان يقضي في خزنته اياماً ثم يعود الى اهله دون أن يدرك سره أحد..

وفي احد الأيام ذهب ولم يعد أبداً وباءت كل محاولات أهله في البحث عنه بالفشل، ثم ورث ذووه ثروته فكان القصر من نصيب أحدهم ، بعد عدة سنوات هدم

صاحب القصر البناء لإعادة هيكلته فعثر على الخزنة الضخمة ، و عندما هدمها صُدم بمفاجأة كوقع الصاعقة عقدت لسانه من شدّة الدهشة و باتت حديث الناس لعقود بعدها ، حيث وجد جمجمة والده ماير وبجوارها عظامه و ثروته الطائلة مع ورقة مكتوب عليها بدمائه:

((أغنى أغنياء العالم يموت جائعاً و عَطِشاً))

ما حدث في الحقيقة هو أن الخزنة كانت تغلق من جانب واحد فقط ، و في ذلك اليوم دخل ماير خزنته وأغلقها و قد نسي مفتاحها في الخارج، وبعد أن فرغ من طعامه وشرابه و همّ بالخروج، انتبه إلى أنّ المفتاح بقي في الجهة الثانية فشلّته المفاجأة و أدرك أن هلاكه بات على الأبواب فأخذ يطرق الباب و يصرخ بأعلى صوته دون أن يسمعه أحد..

و بعد أن يئس من النجاة جرح نفسه وكتب بدمائه عبارته الشهيرة على ما حوله من أشياء لتكون عبرة لمن يعتبر .. فقد مات وسط ثروته الضخمة التي استهلك عمره و تفكيره في جمعها دون أن تفيده بشيء ، و لا شك أنه في لحظاته الأخيرة كان مستعداً لمقايضتها كلها بكسرة خبز و رشفة ماء !!))

و لسخرية القدر أو عبقريته بالأحرى كانت هذه نهاية سيرغي بدوره .. لكنه حظي بفرصة للتوبة لم يحظَ بها

ماير ، فقد أخبره أناتولي بالفعل بشهرة بروميثيوس الواسعة في الغناء لأجل الكنيسة ذاتها التي أقدم سيرغي على الاعتراف فيها ذات يوم .. و لو أصغى لكلام الأب فاسيلي وقتها فسلم نفسه للشرطة لربما أُعدم سريعاً بطريقة وفرت عليه كل هذه الآلام التي يختبرها .. العمى ، الشلل ، عسرة البلع ، عسرة التبول ، التيار الكهربائي الذي يسري في أوصاله و غيرها .. علاوةً على أنه ربما كان سيغادر الحياة نقياً كالثلج و قد قبلت السماء اعترافه و غفرت ذنوبه .. لكنه اختار الطريق الأصعب للتوبة و غفران الخطايا .. الآلام المبرحة حتى الموت..

قضى سيرغي آخر أيامه يتمتع بالنعمة الوحيدة التي لا يزال محافظاً عليها .. (**السمع**) .. يصغي لأغاني بروميثيوس الإنسانية و الدموع تنهمر من عينيه اللتين لا تبصران إلا السواد كحياته و قلبه فيما مضى منظفةً روحه من غلها و خطاياها .. لكنّ أكثر أغنية حفرت في وجدانه و جعلت الندم ينهشه حياً وسط ذهوله و دهشته ، كانت أغنية لبروميثيوس بعنوان (**ماريانا**) تقول..

ماريانا..

صوتي من صوتك و تكويني .. بعض من حسن محياكِ

لم تبرحي يوماً ذاكرتي .. و كيف القلب سينساكِ ؟

ما كنت يوماً لأغني .. ما كنت لأوجد لولاكِ

هل تعلمين بوجودي..

طفلك أنا أماهُ

رحلت عنه كورودِ

و الشوك أدمى قدماهُ

هربت من وحش سادي

عذبك فنجاك اللهُ

فالطيّب ليس لحقودِ

حتى لو نجح و أغواهُ

و الكذب ليس بأبديّ

سيُفضح مهما أخفاهُ

لا أذكر وجهك في مهدي

أتساؤل كيف محياهُ ؟

و اخاف ان أبلغ لحدي

لم أنجح قطّ بلقياهُ

أرجوك أمي لتعودي

فالقلب أتعبه الآهُ

عديني .. سأقبل بوعودِ

فالنجم و إن بعد و علا

دليلاً يبقى لمن تاهوا

أماه و لا حلماً آخر .. عودي كالبسمة للباكي

يجمعنا ربّ يجعلني .. أوقن بأني سآراكي

اختنق سيرغي بحيرته .. كيف عرف بروميثيوس بأن ماريانا أمه ؟ من أخبره ؟ البروفيسور الأمريكي ديريان أم مساعده أناتولي .. إنهما الوحيدان اللذان يعرفان هذه الحقيقة .. !

لا يهم .. لم يعد يهم .. !!

إنه على شفير الموت .. الآلام تنهش عظامه في كل ثانية .. نادماً على حياته التي عاشها ، كانت قاسية في طفولته بلا شك لكن السماء عوضته لاحقاً بالمال ، الجاه و السطوة ، ثم منحته فرصةً ذهبية بلقائه بماريانا القديسة المؤمنة ففرط بها ، ثم بابنٍ لا سميّ له بروميثيوس بقلبه الطيب المفعم بالإنسانية فضيعها ..إنه يعي أخيراً أن الضراء التي مسته في طفولته تلتها سرّاء بالغة لم يحترمها أو يقدرها حق قدرها .. و الخطأ خطؤه بالمقام الأول .. لكنه سعيدٌ بأن بروميثيوس (ابنه

الافتراضي) ناجح و سعيد ، و الأهم أنه نجا من عالم المافيا الذي يعج بالخطايا و الذنوب كي لا تكون خاتمته كحاله الآن ، كما أنه استدل بطريقة ما إلى والدته و هذا سيسعد الاثنين معاً لا ريب ، لكن هل بروميثيوس يعلم أيضاً أنه صورة نسخة طبق الأصل عن يسوع المسيح الذي يخدمه بغنائه في الكنيسة ؟.. يسوع الذي انتصر على خطة سيرغي بالانتقام و لوي ذراع الإله عبر شيطنة نسخة عن يسوع فجعل الربّ من نسخته الجديدة نسخة طبق الأصل عن المسيح ليس بالشكل فقط بل في المضمون الطيب الإنساني على حدّ سواء ..

مع سكرات الموت الزؤام كتب سيرغي وصيته الأخيرة و كانت من أربعة بنود كمحاولة أخيرة للتوبة و الغفران ، لم يكتبها بدمائه كحال ماير بل بدموعه :

١- إعادة كفن تورينو إلى معبده المقدس..
٢- الوصول إلى ماريانا و طلب الصفح منها و أن تدعو لروحه بالمغفرة و السلام ، ثم إعلامها بأن بروميثيوس هو ابنها..
٣- ترك كامل ثروته و أملاكه لبروميثيوس سيرغي إيفانوف..
٤- حل منظمة المافيا التي يتزعمها..

رحل سيرغي من الدنيا عشية عيد الميلاد .. في ذات الليلة التي استجمع فيها شجاعته ذات يومٍ ليعترف

بخطاياه كرمى لعيني ماريانا حبه الوحيد في حياة لم تعرف سوى الحقد و الضغينة .. تائباً قبل فوات الأوان بعد أن كسر المرض و الألم شوكة نرجسيته و ساديته .. رحل و هو يجهل ثلاث أسرار..

الأول أنه لم يكن عقيما أبداً ، ففريا كانت حاملاً بابنه الحقيقي ، لكنه بأخلاقه السيئة حرم نفسه من تلك النعمة و لم تحرمه السماء منها ..

الثاني كيف علم بروميثيوس أن ماريانا هي والدته الحقيقية.. ؟ ذاك السر بين ستيلا و بروميثيوس ..

الثالث مصير النسخة الثانية من يسوع المسيح التي حملت بها الفتاة النيجيرية اديلا التي نجت بنفسها من مصير صديقتيها ناتاشا و أندرينا في غابات موسكو الشاسعة ..

****

بعد وفاة سيرغي بأربعة أشهر ..

كنيسة القديس باسيل

قداس أحد الفصح (القيامة)

بينما كان بروميثيوس غارقاً في قيادة كورال الترتيل يختلس النظرات بين الفينة و الأخرى لمقعد محبوبته **زينب** ذات الأعوام التسعة عشر.. إحدى أكبر المعجبين

بأغانيه .. التي تعرفت عليه بنفسها من خلال زياراتها المنتظمة إلى الكنيسة صحبة والدتها المسيحية ذات الأصول الأرمنية و المتزوجة من رجل عربي عراقي مسلم .. سألها عن معنى اسمها زينب فأرسلت إليه في الكنيسة هدية ، رسالة تشرح معنى اسمها باللغة العربية و نبذةً عن أشهر شخصية حملته و هي زينب الحوراء حفيدة رسول الإسلام محمد ، إضافةً إلى نسخةً من القرآن الكريم باللغة الروسية .. وقع بروميثيوس في حبها منذ تلك اللحظة ، و بات ينتظر قداس الأحد بفارغ الصبر كي يتأمل وجهها الجميل و عينيها الحوراء الصافيتين بسواد الليالي المحاقية من بين الحضور .. لكن هذه المرة كانت مختلفة عن سابقاتها ففي صف المقاعد الخلفي لمقعدها رأى بين الوجوه وجهاً ليس بغريبٍ عليه عكر مزاجه بالكامل .. فخفق قلبه بشدة ..

يا إلهي .. أناتولي ! ما الذي يفعله هنا ؟ هل أعطى

سيرغي إشارته للبدء بتصفيته ؟! .. ارتبك للحظات لكنه سرعان ما سيطر على مشاعره و تابع قيادة الكورال..

مع انتهاء القداس و تفرق المصلين بقي منهم اثنان فقط .. أناتولي برفقة سيدة خمسينية شقراء..

غادرا أناتولي مقعده متجهاً نحو بروميثيوس مباشرةً و هو يبتسم ابتسامةً بيضاء على غير عادته .. أين ذهبت ابتسامته الصفراء الماكرة ؟!

= ها نحن ذا نلتقي مجددا صديقي بروميثيوس..

شعر بروميثيوس برعب حقيقي ، لكنه قنّع خوفه بابتسامة ثقة..

= إذاً فقد وصلتما إليّ أخيراً ..

= لا ليس أخيراً .. لقد وصلنا إليك منذ زمنٍ بعيد ..

= و لماذا لم ينتقم مني سيرغي كما هدد ؟

تغيرت ملامح أناتولي جذرياً لتصبح حزينة بشدة مع لمسة ندم حقيقي أدهشت بروميثيوس..

= لأن السيد سيرغي أصيب منذ سنوات بمرض عصبي خطير أفقده بصره كما أصابه بشلل تام فأصبح طريح الفراش..

زاد ارتباك بروميثيوس أكثر..

= هذا مؤسف .. و كيف هو الآن ؟

نظر إليه أناتولي للحظات ثم قال بكلمات مخنوقة..

= لقد فارق السيد سيرغي الحياة منذ أشهر ..

على نحوٍ غريب لا يتماشى مع ذكرياته السيئة في قصر سيرغي و لا مع طباع الأخير الذميمة و حياته

المعجونة بالآثام ، صُعق بروميثيوس بالنبأ .. فللموت رهبته كائناً من كان المتوفي ، و مهما كثرت الخلافات معه فيما مضى ..

= توفي !؟

= أجل .. و قبل موته بأيام كتب وصيته و ترك لي مهمتي الأخيرة بتنفيذها..

= و ما علاقتي أنا بذلك ؟

= الوصية برمتها تتمحور حولك يا بروميثيوس..

ابتسم بأسى ..

= أعتقد و بناء على معرفتي به أنه أوصاك بالانتقام مني وقتلي كي ألحق به..

= أبداً .. السيد سيرغي تغير جذرياً يا صديقي منذ مرض و بالأخص منذ فقد بصره .. لقد رحل عن الحياة إنساناً نادماً بشدة و تائباً بحق من أعماقه ..

= هذا مستحيل.. !!

= لا أخفيك سراً أن ذلك أدهشني بدوري ، فلم أتوقع في يوم من الأيام أن أرى السيد سيرغي بجبروته و سطوته ، ضعيفاً خائر القوى يرجو المغفرة من السماء .. لكن هذا ما حدث بالفعل ، فقد حلّ منظمته بالكامل ، كما ترك أملاكه كلها التي تبلغ **33** مليار دولار لك يا صديقي..

جمد بروميثيوس في مكانه لا يستوعب الكلام و لا يعرف كيف يرد..

= هل أنت جاد ؟!

= كما سمعت بالضبط ، بانتظارك ثروة خيالية ..

= المال لا يعنيني بشيء .. ما يهمني فعلاً هو توبة سيرغي ..

= لقد تاب بالفعل .. أؤكد لك ..

= للأسف لم تسنح لي الفرصة برؤيته للمرة الأخيرة قبل رحيله نادماً ..

= كان ذلك حلمه الأخير على ما أعتقد .. في الحقيقة هنالك شيء آخر أهم ..

= ماذا تقصد ؟

= لقد أوصاني السيد سيرغي أن أخبرك الحقيقة المغيبة عنك ..

= حقيقة مغيبة ؟!

= حقيقة أصلك ، و من أين أتيت..

= أبي و أمي ؟

= إن جاز التعبير .. فالموضوع غريب على نحو خيالي لا يصدق .. و لا يمكن تبسيطه بكلمتين..

= تحدث .. أنا أسمعك..

شرع أناتولي يقصّ على بروميثيوس حكاية سرقة كفن تورينو كخطة انتقام من والده تجاه السماء .. و من ثم استخراج خلية جسدية ليسوع منه و دمج نواتها في بويضة الفتاة ماريانا لاستنساخ مسيح جديد يربيه سيرغي بطريقته الخاصة .. ثم استئجار رحم للبويضة المعالجة ، حتى ولادته و بقية قصته التي يعرفها بنفسه

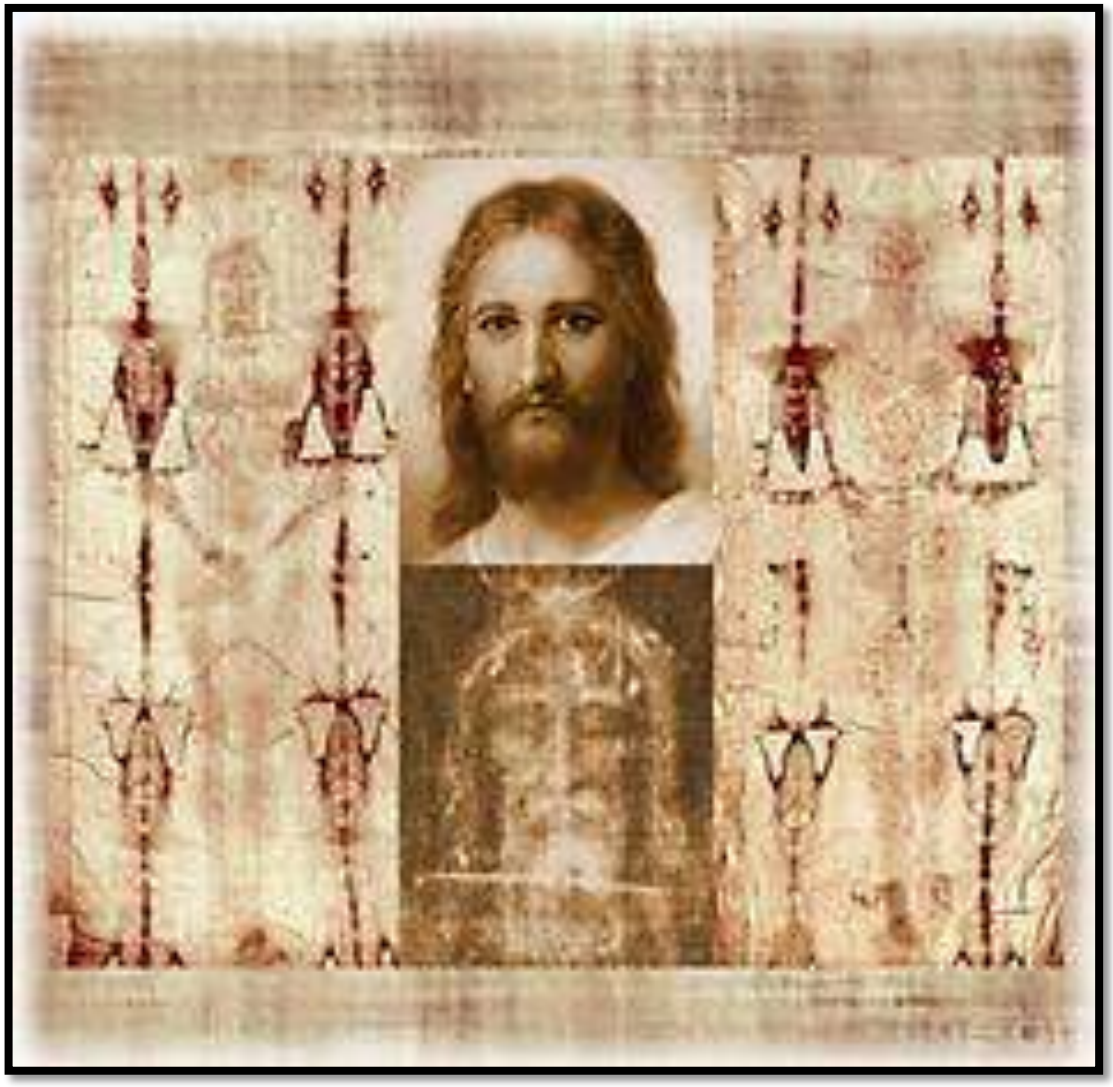

لكنه أخفى عنه موضوعين في الحكاية .. اسم البروفيسور ديريان ، و مصير الفتيات اللاتي شاركن في التجربة و قتلن ثم دفن في غابات موسكو .. في حين

كان بروميثيوس يصغي مصعوقاً لتلك الرواية الأشبه بالأساطير ، و باللاوعي مد يده إلى وجهه يتحسس ملامحه .. أو ملامح يسوع كما تقول الرواية..

= و بالخلاصة أنت أتيت إلى هذه الحياة يا بروميثيوس بلا أب ، و من أم مجازياً تدعى ماريانا.. و أنت نسخة طبق الأصل عن يسوع المسيح ..

تأرجح عقل بروميثيوس في عاصفة بين الشك المنطقي بهذه الرواية العجيبة و بين تصديقها تبعاً لكلام مدبرة المنزل ستيلا في آخر لقاء بينهما عن كون ماريانا هي أمه ، ناهيك عن دروس سيرغي الشاذة له في السنوات المنصرمة التي تتوافق على نحو مثالي مع هذه الرواية.. لكن شكه بها كان أكبر بكثير من تصديقه لها

= هذا كلام خرافي لا يصدق..

= أقسم لك بأنها الحقيقة .. و يمكنك إجراء تحليل **DNA** لإثبات نسبك إن أردت..

شعر بروميثيوس بنفسه سيسقط من هول الصدمات المتتالية التي تلقاها خلال دقائق قليلة ، فاتجه الى أقرب مقعد و جلس عليه ثم وضع رأسه بين يديه يفكر لدقائق .. رفع رأسه أخيراً و قال بصوت متشبث بأهداب الأمل

= و أمي ماريانا .. أين اختفت ؟

= عادت إلى موطن والدتها في النرويج..

= و هل تعرف عنوانها الحالي ؟

= حالياً هي ليست بعيدة من هنا..

= لم أفهم !

استدار أناتولي و أشار بيده للسيدة الشقراء في الخلف فنهضت من مقعدها و اتجهت نحوهما و الدموع تنهمر من عينيها كساقية..

= سيد بروميثيوس .. أمك السيدة ماريانا..

جمد بروميثيوس للحظات في مكانه كتمثال حجري ، ثم استيقظت مشاعره الجياشة دفعةً واحدة فنهض و هرول مسرعاً الى السيدة ليحتضنها بقوة و يقبل رأسها و يدها

= أماه .. أهذه أنت حقاً .. لا أصدق .. لا أصدق..

ماريانا و الدموع تخنقها..

= ابني حبيبي .. لا أصدق بدوري .. لكن أناتولي شرح لي ما جرى من أحداث عجيبة .. بالفعل لقد احتفظ سيرغي ببويضات مجمدة تخصني عقب تشخيصه بالعقم .. كما أنني بحثت بنفسي عن أدلة تدعم روايته ،

لأجد أن قصة سرقة كفن تورينو صحيحة على أرض الواقع ، ليس ذلك فحسب بل أنها جرت منذ زمن يتناسب مع عمرك و مع القصة برمتها .. و أخيرا ترك لنا أناتولي حرية إجراء اختبار **DNA** لتأكيد صلة القرابة بيننا .. فأنا لم أقم علاقةً في حياتي كلها سوى مع سيرغي فقط .. فإن كنت أمك بالفعل .. فالقصة حقيقية على ما يبدو!

نظر بروميثيوس في عينيها..

= لا حاجة لأي اختبار أماه .. أنت أمي بلا شك .. أرى نفسي في ملامح وجهك .. و أسمع صوتي يخرج من فمك .. أما أبي فلا يهمني من يكون .. أنت غايتي الوحيدة ، و معك لا آبه لأي شخص آخر..

عاد فقبل يديها و الدموع لا تتوقف من عينيه ، و سعادته تنتصر على كمّ الصدمات العجيبة التي تلقاها للتو من موت سيرغي إلى قصة كفن تورينو الغريبة ..

****

خلال الأعوام التالية تغيرت أشياءٌ كثيرة .. فقد أنشأ بروميثيوس عدة مشاريع خيرية في مناطق مختلفة من روسيا .. دعم كنيسة القديس باسيل التي احتضنته في أسوأ لحظات حياته بمبلغ هائل من المال .. كما منح أمه ماريانا التي عادت لتستقر في موسكو و أخوتها ساشا ، أريجو و أودين هنالك في النرويج ثروةً ضخمة كي يشقوا طريقهم في الحياة بأنفسهم ، و لم ينسَ ستيلا و يلينا بالطبع أيضاً فعاد و التقى بهما كما وعدهما في آخر لقاءٍ جمعهم .. بدا كل شيء سارّ على نحو مثالي لا يتناسب مع طبيعة الحياة في هذه الدنيا التي تتقلب في مزاجها كمناخ شهر شباط تماماً ، فسيرغي تغير و غادر الدنيا تائباً ، كما عرف أخيرا أصله الحقيقي الغريب ، و التقى بأمه و أخوته، ساعد آلاف المحتاجين في وطنه بأمواله .. فهل انتهت القصة على نحوٍ مثالي كقصص الأطفال ؟.. بالطبع لا .. فالدنيا لم تتغير بالفعل ، و بقيت على طباعها المعهودة .. بعد كل همّ فرجٌ قريب ، و بعد كل فرجٍ همٌّ ينتظر على العتبات .. فبعد بضعة أعوام أخرى و مع بلوغ بروميثيوس عامه الثاني و الثلاثين **32** بدأ يشعر بآلام شديدة في بعض أضلعه .. مع كتلة مجسوسة بشكل واضح ، لجأ على إثرها إلى أشهر الأطباء في العاصمة الذي أجرى له خزعة من الكتلة ، لتثبت تشخيصه بأحد أنواع سرطان العظام الذي يدعى (**ورم إيوينغ**) و هو ورم خبيث

بشدة .. لذا تم تجهيز موعد سريع لبروميثيوس كي يبدأ رحلة العلاج الكيماوي وسط صدمة و حزن جميع معارفه من الكنيسة أو خارجها ، عائلته ، ستيلا ، يلينا و زينب .. سقط شعره بالكامل مع العلاج .. كما هزل قوامه بشدة .. أخبره الأطباء أن الورم ضعيف الاستجابة للعلاج ، و بأن الأمور لا تبشّر بالخير .. عندها أدرك بروميثيوس بأن أيامه باتت معدودة و شمس حياته القصيرة مائلة للأفول ..

على نحو غريب قام بروميثيوس بأمرين لا يتناسبان بتاتاً مع وضعه الصحي الهشّ الذي يدفع أيّ إنسان طبيعي في مكانه إلى الالتفات الى آخر أيامه فيعيشها حتى الذروة مع أحبائه ، أما بروميثيوس بطباعه الغريبة فقد لجأ إلى زيارة أحد الوشامين الشهيرين في موسكو و طلب منه إجراء وشم على كامل مساحة ظهره .. شيء ما في أعماقه يدفعه للقيام بهذه الخطوة .. وشم مؤلف من صورة كبيرة تمثل لوحة قيامة يسوع المسيح من الموت للرسام الإيطالي الشهير **بييرو ديلا فرانشيسكا** .. و تحتها رقمان هما **75** و **22** و أسفلهما عبارة تقول

(وقف الجيش منتصبا يحرس السر الكبير تحت أقدامه)

أجرى بعدها بروميثيوس عدة صور للوشم على ظهره

و سربها للإعلام لغاية في نفسه دون أن يأتي على ذكر مرضه و احتضاره..

الأمر الثاني الذي فعله هو كتابته لقصيدته الأخيرة بعنوان (**فكلّ ألم أو موت لا بد ستتلوه قيامة**) ثم طلب من الأخ أرون تلحينها و تسجيلها..

بعد أشهر قليلة غربت شمس بروميثيوس في هذه الدنيا بالفعل في ريعان شبابه عن عمر **33** سنة كعمر يسوع المسيح بالضبط ، وسط دموع كل من عرفه فأحبه و هو الداعي للحب بحنجرته السماوية دائماً و أبداً .. الأب فاسيلي و الأخوة في الكنيسة ، أمه ماريانا و أخوته ، ستيلا ، يلينا و حبه الوحيد في الحياة زينب .. تاركاً غصّةً كبيرة في قلوبهم و هم يحيطون جميعاً بفراشه مع لحظاته الأخيرة ..

بحكم شهرة بروميثيوس الواسعة في روسيا خلال الأعوام المنصرمة فقد ضجت مواقع التواصل الاجتماعي بخبر وفاته وسط ذهول و حزن الجميع على رحيل حنجرة السماء المفاجئ .. إذ لم يكن أحدُ منهم يعرف شيئاً عن مرضه .. و في غمرة الحزن و الأسى تلك قام أرون بتنفيذ وصية بروميثيوس الوحيدة ، رفع أغنيته الأخيرة على قناة الكنيسة مع تسجيل صوتي أخير لبروميثيوس يقول فيه :

((الوداع أحبتي .. لقد هزمني المرض للأسف .. لكنني هزمت قدري الأسود في حياتي قبله .. فعشت الحياة التي أؤمن بها و أرغبها .. ربما كانت حياةً قصيرة ، لكنني فخور بمحبتكم و بإرثي الغنائي الذي تركته خلفي ، و إلى جانب هذا الإرث تركت لكم كنزاً ضخماً .. ثروةً حقيقية ، هي ملك لمن يستطيع حل شفرة اللغز .. اللغز الذي ضمنته في قصيدتي الأخيرة و وشمته على ظهري .. لماذا أترك هذا اللغز ؟ .. لأنني أؤمن بأن علينا جميعاً أن نحلم ، و بأن نلاحق أحلامنا إلى أقاصي الأرض ، فلا أمل بلا ألم .. و كل ألم أو موت لابد ستتلوه قيامة ..

كنزي دعوة للجميع لاتباع أحلامهم في الحياة و عدم الاستكانة لواقعهم السيء .. كما فعلت بنفسي في حياتي .. ثوروا على واقعكم .. اتبعوا أحلامكم بمحبة و إيمان .. فكنزي سيكون من نصيب الأرواح الثائرة التي لا تستسلم ..

أحبكم جميعاً .. الوداع))

ثم بدأت الموسيقى الحزينة تنساب بهدوء ليبدأ صوت بروميثيوس الملائكي بإنشاد أغنيته الأخيرة ..

منك أتينا يا الله..

و إليك سنرجع يوما

النور طبيعتنا الأولى

و ليست عظماً أو لحما

ما كان عمرنا سنواتٍ

بل كان وهماً أو حلما

قد عشت حياتك في ألمٍ

و اليوم ستنسى الآلامَ

فكل ألم أو موتٍ

لابد ستتلوه قيامة

عيونٌ ترنو لسماءٍ

و كنوزٌ تحمل أقداما

القدر رهن إشارتك

قرر و ستبني الأهراما

فكر خارج صندوقٍ

لا ترهن نفسك بعمامة

كن بوذياً كن تاوياً

علماني يعشق أرقاما

كنيسة كنيسٌ أو نارُ

لا تنس قطّ الإسلاما

فالسرّ مزيجٌ من ذاك

و اللغز صيّرته وشما

لأنّ حله ليس بسهل

فسأترك للساعي علامة

آخر أغنيةٍ برفقة وشم

تروي حكاية من قاما

بالحب ستمتلك كنوزاً

لو حتى عبدت الأصنامَ

كانت تلك آخر كلمات تصدح بها حنجرة السماء قبل أن تعود إلى السماء بلغزٍ شبيهٍ بحياته ككل .. التي يجهل الجميع طبيعتها .. و التي لو عرفوا حقيقتها لما صدقوها بكل تأكيد .. قصة كفن تورينو العجيبة !

.. لكن صوت تلك الحنجرة سيبقى يصدح في كل مكان بأغانيه الهادفة الداعية للحب التي تركها ميراثاً خلفه .. فكما سبق له و غنى :

الحبّ خمر لا يفسد .. يتعتّق بمرور الأزمانِ

كحال بذرة إن طمرت .. تنمو بيادر ريحانِ

أثر الخير أثر فراشة .. لا يعرف درب النسيانِ

و الناس ستذكر محبتك .. لو كنت حبيس الأكفانِ

****

من قصتنا المقتضبة السابقة نتوصل عزيزي القارئ إلى مجموعة حكم بليغة للغاية في الحياة ، منها أن من يحاول لي ذراع الإله يدخل نفسه في نفق مظلم نهايته وخيمة ، و أن الحب و الإيمان و الخير و العائلة هما أقصى ثروة قد يحصلها الإنسان ، و أن حياة كل إنسان على الكوكب عبارة عن دائرة ستلتف و تنغلق على ذاتها ليكتمل معها كل شيء ، و أخيراً أن قيمة الإنسان بما يتركه خلفه من حب و سيتذكره الناس به و لو كان حبيس الأكفان ..

و هذه الفلسفات العظيمة و الحكم البليغة ليست سوى جوهرة نفيسة في عقد الحياة المرصّع بأنفس الجواهر و الأحجار الكريمة .. و للأسف بعض الناس يرفضون التزين بهذه النفائس و يحجمون عنها ، بل إنّ قسماً منهم يفني عمره يحفر في مناجم اللذات و توافه الحياة ، و يسخّم وجهه بسواد الفحم الحجري كوقود لغرائزه و أحلامه السطحية هذه التي تذهب بالنهاية كزبد البحر، فيصل إلى ختام حياته مفلساً من أي شيء معنوي يدافع عنه بعد موته في مغالطة حقيقية مؤلمة و خطيرة بل مصيرية.. و مهمتي خلال الصفحات التالية أن ألفت الانتباه إلى بعض من هذه الجواهر النفيسة في العقد علني أزرع محبة الحكمة و الفلسفة في القلوب إن كانت متصحّرة و خالية منها .. فهيا بنا في هذه المهمة السامية و الشيقة ..

❁ +10 & -1000 :

نظرية خطيرة للغاية على بساطتها .. تفسر بوضوح ميل البشر إلى الخطيئة و عودتهم للتوبة كبندول الساعة مرارا و تكرارا ..

تقول النظرية أن الإنسان ذا الحياة المكتملة الذي لا ينقصه أي شيء يكون في المستوى **+10** من الحياة ، أي أنه لا يكون في قمة السعادة و الارتياح و الرضا ، بل يشعر أن ثمة شيء لا زال ينقصه ، فيحاول تجربة أشياء جديدة غالبا ما تكون بوابات للسقوط نحو الهاوية ، لتنحدر سعادته تدريجيا مع استمرار المحاولات ، و على نقيض الذروة التي تتوقف عند درجة **+10** فإن الهاوية عميقة قد تصل إلى **-1000** حيث قاع الجحيم ، و عند الارتقاء مجددا من حضيض الإسراف و الضياع يشعر المرء بتجربة فريدة كالمخنوق الذي عاد إليه الأوكسجين مجددا .. و عندما يعود إلى درجة **+10** مجدداً يشعر هنا بأن هذه الدرجة على محدوديتها أجمل بكثير من الهاوية السحيقة التي يمكن أن ينزلق إلى قاعها ، و بعد فترة سيقع مجدداً في فخ الملل من الذروة المحدودة ، لكنه إن امتلك بصيرة كافية و تعلم من الدروس السابقة فسيعلم أن يكتفي بما هو عليه لأن البديل أسوأ بكثير .. أما درجة **+1000** فهي الجنة عزيزي القارئ و لا شيء آخر .. فالدنيا قد تحمل في

طياتها الجحيم حرفيا ، لكنها لن تكون جنة بكل تأكيد .. و أقصى درجات السعادة فيها تتوقف عند مستوى **+10** و الخيار خيارك إما أن تقتنع بها و تتمتع بمحتوياتها أو تنزلق إلى قاع الجحيم .. هذه هي الحياة بمنتهى البساطة ..

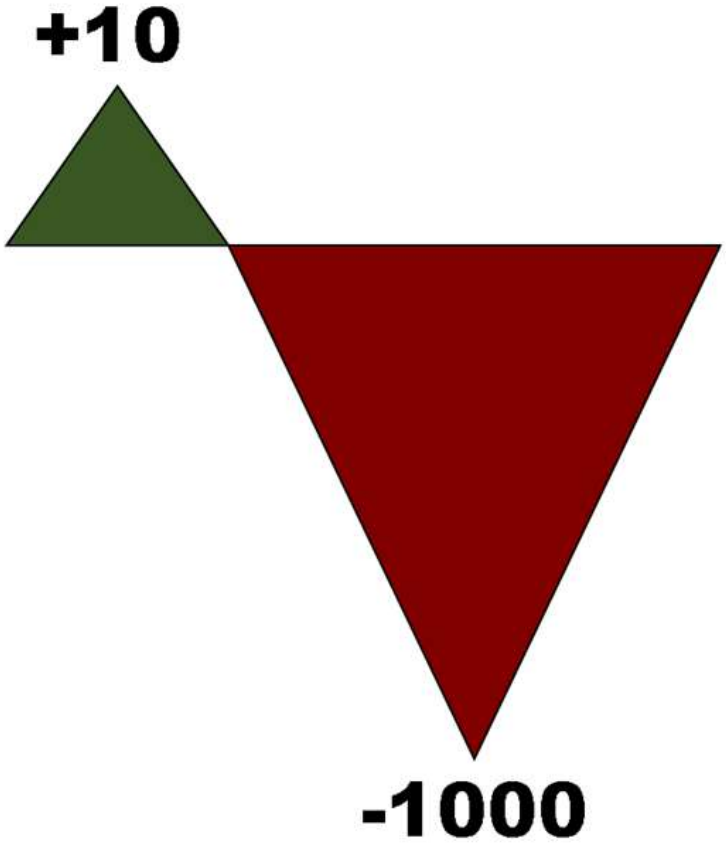

❁ نظارات الحياة :

الحياة مصممة بطريقة عبقرية ، فهي حرفيا كل شيء قد تؤمن به أو يجول في خاطرك ، و عقيدتك أو فلسفتك بالحياة هي النظارات التي ترى الحياة من خلالها .. و كلما تغيرت ألوان عدساتها ، رأيت الحياة بلون جديد .. قد تكون نعيماً أو جحيماً .. عدمية أو مفعمة بالمعنى ..

ملونة أو مظلمة .. تدعو للتفاؤل أو للتشاؤم .. آمنة أو مرعبة .. و قس على ذلك .. و لن تتغير الحياة من حولك حتى تغير نظاراتك أولاً .. و هذا هو التفسير الحرفي لقول البارئ :

(إنّ الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم)

❁ جذور الزيتونة :

لا يوجد إنسان في هذه الحياة لم يأتِ من **اتحاد أب مع أم** .. و هذه القاعدة لا تختلف مع شجرة السماء : (الزيتونة اللاشرقية و اللاغربية) فهي لم تأتِ من أب فقط كما يدعى بعض الضالين ، لكن الفارق في هذه الحالة أن الأب و الأم هما شخص واحد يحمل الجناحين

معا (**XY**) أو (الشمس و القمر) أو (صدفتي المحارة) أو (جديلتي **DNA**) أو (المهباج) .. و الزيتونة نسخت من إحدى الجديلتين أو تكونت في قلب المحارة ، أو صنعت في المهباج أو خلقت من **X** أي ضلع **XY** لتكون زوجاً له و يكون عائلةً لها ، لهذا السبب فكل ذكر في العالم يحمل جانباً أنثوياً في شخصيته ، و لا يمكن لأي إنسان أن يتبرأ من جيناته .. **و اتحاد الذكر و الأنثى الذي نجم عنه ولادة الزيتونة هو الفتح الأكبر في تاريخ الأكوان** .. و كيف لا يكون كذلك و كانت نتيجته هذه الألماسة الفريدة .. ؟!

❁ الصبر مفتاح كلّ فرج :

يشتهر نبات الصبّار بتحمله الشديد للظروف المناخية القاسية و قلة المياه .. و يمتاز بأشواكه الكثيرة التي

تغطيه و طعمه اللذيذ ، و كأنه يمنحنا درساً هاماً في الحياة بأن الصبر معاناة و ألم ، لكن ثماره تستحق .. فإن كانت الظروف القاهرة سمّ و الوحدة بلا مؤنس أو معين سمّ آخر ، فإن الصبر هو سمسم يفتح أبواب الضيق إلى الفرج ..

❁ شعار يختزل الكون :

شعار الديانة التاوية **TAO** هو أكثر شعارات البشرية شمولاً و اكتمالاً .. إنه يجسد الإله الشامل بأسمائه الحسنى المتضادة ، و الكون من حولنا بتوالي الليل و النهار، تناقضات الحياة التي يتغلغل الإله في كل جزئياتها ، و بالطبع الذكر و الأنثى معاً ، فالإنسان أياً

كان جنسه يحمل فيضاً من روح الله نفخها في أعماقه .. لأن هذا جوهر الله الأصلي بالأساس ..

❁ قاتل أبيه :

لقب يطلق على نبات الموز ، لأن أشجاره تنبت من حضن الأشجار التي سبقتها .. و في الحقيقة هذه التسمية ظالمة بحق الموز للغاية ، لأنه **لا يمكن للكائن أن يقتل أباه إذا كان نسخة طبق الأصل عن أبيه** .. بل هما كائن واحد في زمانين مختلفين لا أكثر كمن ينظر إلى نفسه في المرآة ..

❁ الفقاعة المحافظة :

بعض الآباء يحيطون أبناءهم منذ الطفولة بهالة من النظافة و التعقيم خوفاً عليهم من الميكروبات ، و للأسف ما أن يخرج هذا الطفل خارج هذه الفقاعة لاحقاً بإراداته أو مجبراً حتى تجتاحه شتى صنوف الميكروبات لتقتله .. لأن جسد الأطفال يحتاج بالأصل للتعرض للميكروبات المختلفة بكميات قليلة منذ نعومة أظفاره كي يكون جهاز المناعة أضدادا لها ، و حرمانهم من ذلك يجعلهم في خطر حقيقي لاحقاً ..

و بالمثل بعض الآباء يحيطون أبناءهم بفقاعة ثقافية معينة بحيث لا يحتكون يومياً إلا بأشخاص أو أشياء أو أفكار تنسجم مع فلسفة الآباء ، لذلك عندما يخرجون من منزل الأهل إلى المجتمع يتعرضون لتسونامي ثقافي يعجز دماغهم عن استيعابه ، مما يزلزل قناعاتهم المتجذرة في نفوسهم و يعرضهم لحالة من الشك العميق

و عدم الاتزان ينجم عنها أمراض نفسية شتى قد تنتهي بهم إلى الانتحار لعجزهم عن مجاراة المجتمع و تقبل تنوعه و اختلافه .

❁ الموت القادم من الشرق :

الإنسان في هذه الحياة يذكر بأعماله .. و لعل أكبر فكرة تلخص ذلك هي انطباع البشر عن شعوب المغول ، فرغم أن منغوليا اليوم من أكثر الدول مسالمة في العالم و لا تتدخل في شؤون أي دولة أخرى .. إلا أن صفة المغولي لا تزال تطلق على كل شخص همجي و متوحش و متعطش للدماء حتى يومنا هذا ، لأن ما فعله الاجتياح المغولي الشرقي بالبشر على رقعة واسعة من الكوكب تقشعرّ له الأبدان و تشيب منه الأطفال .. لذا على الإنسان كما الدول أن تنتبه لسلوكها جيداً ، لأن التاريخ لا ينسى و لا يرحم .

❁ الله لا إله إلا هو .. وحده لا شريك له :

عندما تقول عن الله أنه اثنين لا أحد فأنت تدخل دائرة الشرك بقدميك .. و عندما تضع شخصاً في منزلة الإله فأنت تشرك مجدداً .. فالله نسخة وحيدة لا شبيه لها و لا يمكن أن يكون كما أكد بنفسه .. بالضبط كما أن كل إنسان هو نسخة فريدة لا شبيه لها كلون طيفي من النور الإلهي .. لذا ينبغي على كل إنسان مؤمن عاقل أن يلتزم حدوده و يعرف حجمه الحقيقي و ألا يتعدى على حدود غيره سواء الله أو أي إنسان آخر ، و إلا ناله عقاب الله الشديد فالله يغفر كل شيء إلا أن يشرك به ..

❁ حجر الزاوية :

في كل منظومة بشرية أو وجودية أو فكرية ، لا بد من نواة يبنى عليها أو حجر زاوية يبدأ منه أو عمود خيمة يوازن الأمور أو بيضة قبان أو مركز أو ... و
الاستهتار بهذا الركن و تدميره بلامبالاة أو استخفاف أو

غباء أو طمع أو أياً كان السبب لا يمر مرور الكرام ، بل يعني انهيار المنظومة بكليتها بمن فيها .. أو كما يقول البارئ : (**و تحسبونه هيناً و هو عند الله عظيم**) ..

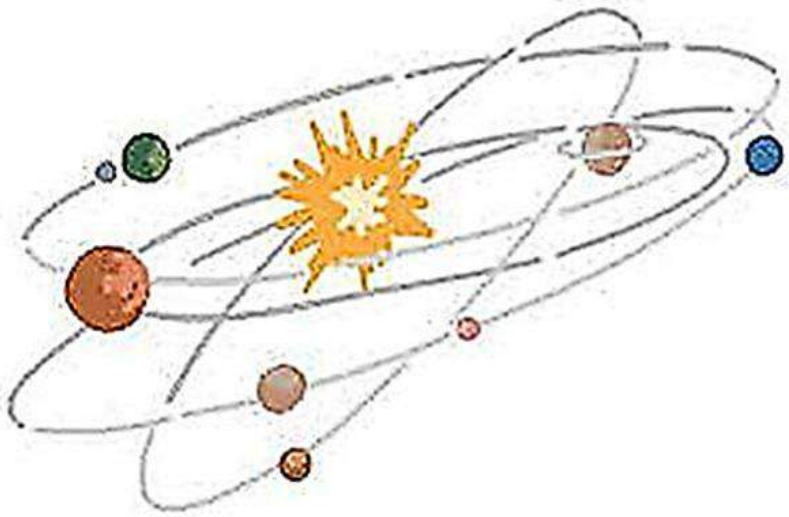

❁ نطفة و بويضة :

تأمل عزيزي القارئ هذه الحقيقة المرعبة التي لاشك أنك تعرفها ، لكنك ربما لم تنظر إليها من هذه الزاوية : (إن شكلك و كامل جسدك هو نتيجة اتحاد نطفة معينة مع بويضة محددة ، و لو أن أي نطفة أو بويضة أخرى حلت مكانهما ، لكنت الآن شخصاً مختلفاً تماماً ، أما المذهل و المرعب في الموضوع فهو حقيقة أن عدد النطاف التي تخرج من الذكر في عملية التزاوج الواحدة يقدر بحوالي **15** إلى **300** مليون نطفة ، و أن بويضة جديدة تنبثق من المبيض مع كل دورة شهرية ، فتخيل العدد الهائل من النطاف و البويضات التي

خرجت من جسدي أبيك و أمك في حياتهما ، و أن من بينها نطفة بعينها و بويضة بذاتها اختارتهما السماء لك كي تكون أنت كما هو أنت بالضبط لا أي شخص آخر غيرك !!!)

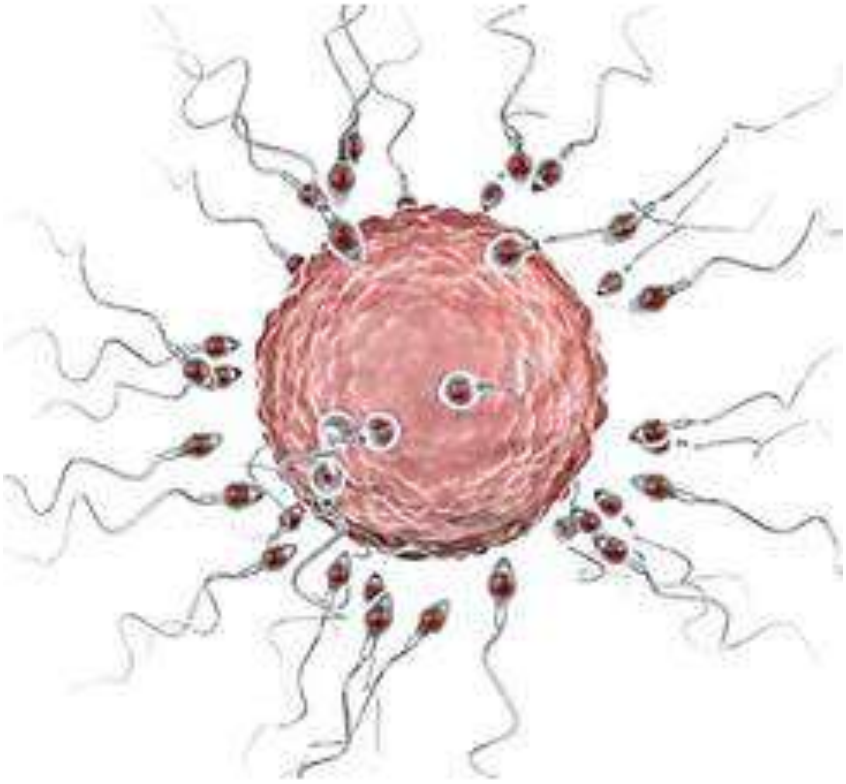

۞ الرمال المتحركة :

يقول العلم أن الإنسان الذي يسقط في رمال متحركة في الصحراء يصبح في ورطة حقيقية ، لأنه سيحاول التحرك كثيراً بسبب قلقه و فزعه و كي ينقذ نفسه ، لكن حركته هذه تزيد من ابتلاع الرمال له فيزيد الطين بلّة ، لذا عليه أن يهدأ تماماً و ينتظر مرور أي أحد بالجوار كي ينقذه .. و هذا بالضبط ما ينطبق على كثير من مشاكل الحياة ، المحاولات الطائشة المتكررة لحلها قد

تفاقمهما أكبر ، لذا الأجدر في هذه الحالة الاستكانة ليد القدر حتى تنتشل الإنسان ، لأن الله يبلي و يعين دائماً و أبداً ..

❁ القميص الأخير ليس به جيوب :

مثل ألماني شهير و عميق ، و ليس هذا القميص المذكور سوى (الكفن) الذي سترثه من دنياك أي أنّ الميت يرحل دون أن يأخذ معه أي شيء مادي من حياته ، فالأحرى بنا أن نملأ **جيوب قلوبنا بالإيمان** و **جيوب أدمغتنا بالعلم** و **جيوب المحتاجين بالإحسان** في حياتنا فذاك زادنا الوحيد في دار البقاء في الحياة الآخرة .. و ميراثك الوحيد من حياتك غرفة مترين بمتر لن تتسع لأملاك أو عقود أو حسابات بنيكية ، بل

لهيكل عظمي يذكرك بخاتمتك الحتمية ..

❁ قوة الإيحاء (قانون الجذب) :

إن مخزون عقلنا الباطن هو ما يحدد قرارتنا و أفعالنا و بالتالي نجاحاتنا بشكل عام مستقبلاً ، فإن كان هذا المخزون سلبياً كانت النتائج سلبية ، و إن كان إيجابياً كانت إيجابية ، و هذا ببساطة هو مفهوم **قانون الجذب** ، أي أنك كما توحي لنفسك أن تكون ستكون ، و هذا يؤكد بدوره قوة تأثير الإطراء الذاتي للمرء على نفسه ضمن حدود المعقول و تشجيع ذاته في تحقيق النجاحات ، كما يفسر تأثير الدعاء مثلاً على قدرنا المستقبلي .. لذا احرص عزيزي القارئ على ضخّ كل ما هو إيجابي إلى عقلك الباطن ، لأن ذلك بنفسه هو من سيتخذ قراراتك المستقبلية الواعية لاحقاً ، فإما أن تكون

سلبية و انهزامية أو إيجابية و حماسية ..

❁ سرير بروكرست :

في التراث الإغريقي أسطورة مميزة تدعى (**سرير بروكرست**) ذات صلة وثيقة بجوهر مغالطتنا، و التي تتحدث عن بروكرست ابن بوسيدون إله البحار وكان لديه قلعة محصنة في **جبل كوريدالوس** الموجود على

الطريق إلى أثينا .. حيث كان يملك هناك سريراً حديدياً

و تقول الأسطورة أنّ بروكرست كان يقوم بدعوة أي مسافر مارّ إلى حصنه المنيع ليحسن ضيافته ، ثم يدعوه إلى النوم في هذا السرير، لكنّ بروكرست في الحقيقة كان مهووساً بضرورة أن يناسب طول الضيف طول السرير، فإذا كان الضيف أطول من السرير قام بروكرست بقطع ارجله ليتناسب جسده مع السرير، وإذا كان أقصر من السرير مطّ جسد الضحية حتى تتكسر مفاصله حتى يساوي جسده السرير بالضبط .. ولم يتمكن أحد من النجاة من هذا المصير المرعب ..

و كثير من البشر في مختلف بقاع العالم شرقاً و غرباً ينتهجون فلسفة بروكرست ذاتها في شعاراتهم التي

يدافعون فيها عن انتمائهم الجغرافي الجاهليّ **فيحذفون الأدلة و البراهين الدامغة التي لا تناسب مصالحهم أو يضيفون أدلة مبتدعة إليها لنفس الغاية بحيث يناسب ذلك سرير شعاراتهم** فيصبح الحق باطلاً في مناسبات و يمسي الباطل حقاً في مناسبات أخرى ، و الأسوأ من ذلك كله أن يستخدموا قوتهم لفرض شعاراتهم الزائفة ، المتناقضة و المبنية وفق مصالحهم على الآخرين و لو كانت عواقب ذلك ظلم الآخرين بالتغاضي عن العيوب الشخصية و ادعاء العصمة أو عن محاسن الآخرين و تشويه صورتهم .. فلربما كانت عيوبك أكبر من عيوبهم و أنت متعامي عنها أو محاسنهم لا تملكها و

أنت تحاول طمسها ملتزمين بتوجيه البارئ :

(لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً)

❁ النصيحة بجمل :

يروى أن رجلاً ضاقت به الحياة كثيراً فترك بلده و عائلته وخرج يبحث عن عمل في مكان آخر.. وبعد سنوات منالعمل الجاد ، تمكن من جمع مال وفير و شراء 3 جمال ثم أراد بعد تحقيق طموحه أن يعود إلى

بيته و عائلته التي افتقدها بشدة .. في طريق العودة صادف رجلاً عجوزاً وقوراً شاركه المسير لمسافة من الطريق ، و خلال سيرهما معاً وجد فيه صديقنا حكمةً ورأياً سديداً فقال له :

(يا عماه أريد نصائح منك تعينني في نوائب حياتي و تجنبني المشقات و الخطر)

فقال له العجوز:

(بالطبع لكن النصيحة بجمل، أي مقابل كل نصيحة لك تهبني جملاً من جمالك)

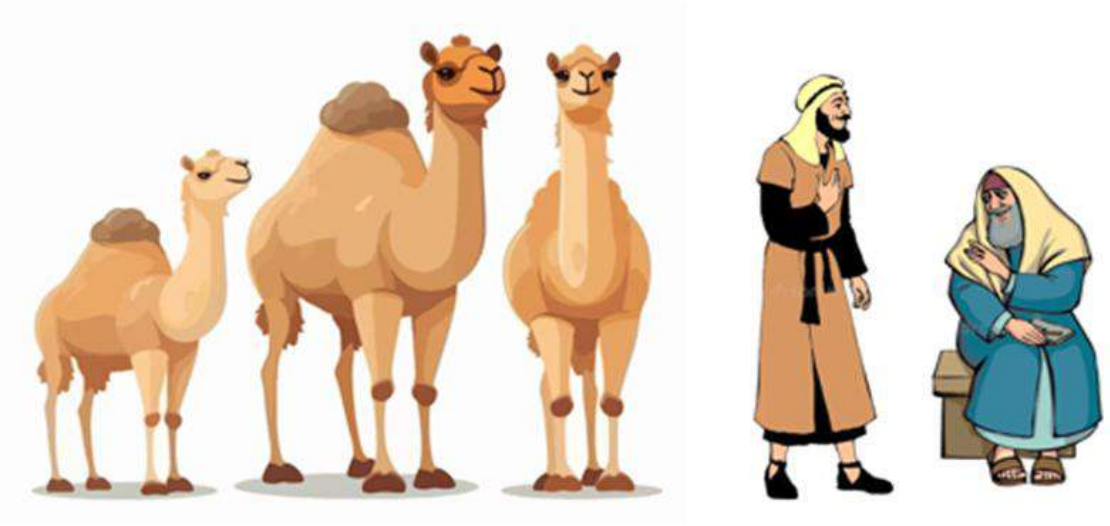

وافق الرجل دون تردد فقال له العجوز :

(النصيحة الأولى ، لا تنم بين اثنين، و النصيحة الثانية ، لا تبت في بطن الوادي، أما النصيحة الثالثة ، فنم حزيناً و لا تنم نادماً)

أعطى الرجل الجمال للعجوز ومضى في طريقه يفكر بنصائحه الغريبة ، حتى التقى رجلين قرب شجرة على

قارعة طريقه فألقى عليهما التحية و جلس معهما بعد أن قرر أن يبيت ليلته تحت تلك الشجرة حتى الصباح التالي، ولما خيم الليل قالوا له تعال نم هنا بيننا فذلك أمان أكثر لك ، وكانا في الحقيقة يخططان لقتله وأخذ ماله، فتذكر نصيحة العجوز الأولى و رفض طلبهما متذرعاً بأول حجة خطرت في باله، و لأنه نام بعيداً عنهما لم يتمكنا من قتله و نجا ..

و في اليوم التالي أكمل رحلة العودة حتى وصل إلى أناس ينصبون خيامهم في قلب وادٍ، فقالوا له بعد أن حلّ الليل، بت هنا حتى الصباح فذلك أمان أكثر لك، لكنه تذكر مجدداً نصيحة العجوز الثانية فرفض و نام في مغارةٍ أعلى الجبل، و في تلك الليلة هطلت أمطار شديدة تحولت إلى سيول جرفت الخيام في الوادي و قتلت كثيرين لكنه لم يصب بأي أذى في كهفه الحصين

ثم تابع مسيره حتى وصل إلى بيته ليلاً و قد أنهكه التعب و الاشتياق ، لكنه فوجئ بشاب ينام في فراشه بجوار زوجته، فتملكه الغضب و أوشك على الدخول عليهما وقتلهما بسبب تلك الخيانة البشعة، لكن نصيحة العجوز الثالثة منعته.. انتظر حتى الصباح، وإذا بالنائم في الفراش هو ابنه، وقد أصبح شاباً و قد نام بجوار أمه لأنها مريضة ، و بذلك أنقذته بالفعل نصائح العجوز الحكيم الثالثة من الموت في مناسبتين و من قتل عائلته

في مناسبة ثالثة ..

بعد فترة اضطر الأب لمغادرة منزله فأوصى ولده أن ينتبه للأغنام و ألا ينشغل عنها، لكن ابنه تجاهل وصيته و نصيحته و غادر المنزل بدوره ليعود و يجد أنّ الذئب أكل عدة خراف لانشغاله عنها، و عندما عاد أبوه إلى البيت و سمع ما حدث ، قال لابنه بدهشة و حزن :

(لقد كانت النصيحة بجمل و قبلتها ، أما أنت فرفضت نصيحة مجانية يا بني !!)

و من وقتها أصبحت عبارة (كانت النصيحة بجمل) ، شائعة بيننا و نستخدمها كمحاولة لإقناع من نحب باتباع نصائحنا المجانية التي نعي تماماً أنها ستوفر عليهم مصائباً و صعاباً جمة ..

❁ معضلة المتهمَين :

معضلة قانونية شهيرة و فيها يقوم محقق باستجواب شخصين متهمين بتهمة ما هما بريئان منها تماماً ، و المحقق لا يملك أي دليل دامغ على أي منهما ، فهنا تكون خيارات هذين الشخصين كالتالي :

- أن ينكر الاثنان علاقتهما بالتهمة فيخرج الاثنان براءة ..
- أن يشهد أحدهما على الآخر فيعدمه و يخرج هو

براءة ..

● أن يشهد الاثنان على بعضهما فيعدمان سوياً .. و للأسف بسبب طبيعة النفس البشرية الأنانية و التي ينهشها الشك و الارتياب سيقوم كل من المتهمين على الأرجح بالشهادة على الآخر كي يخرج نفسه من الموضوع و يسبق الآخر قبل أن يورطه لتكون النتيجة هي إعدام بريئين بتهمة لا وجود لها من الأساس ..

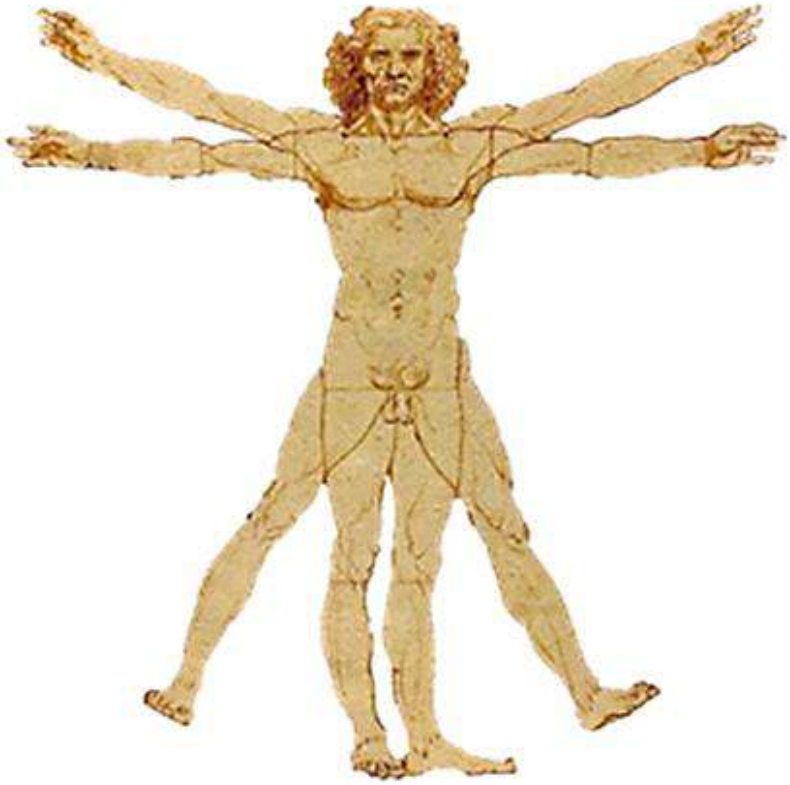

هذا بالضبط هو حال الحروب عبر التاريخ ، كان من الممكن بمنتهى البساطة ألا تندلع باتباع الحد الأدنى من الحكمة و المنطق و التعقل .. لكن شك البشر ببعضهم يدفعهم على الدوام إلى اتباع المثل الشعبي البغيض :

(سأتغدى به قبل أن يتعشى بي)

دون أن يعي البشر أن بإمكانهم الإفطار سوياً على مائدة واحدة هي مائدة العالم الكامل (كوكب الأرض) الذي يتسع بمساحته و خيراته للجميع .. فيفهم الجميع أنه ما من شخصين متهمَين بالأساس بل هنالك شخص واحد هو الأرض برمتها فيه ملامح من الشرق و من الغرب ، من الشمال و من الجنوب، و يعيش حرباً أهلية افتراضية و عبثية لا وجود لها من الأساس و محركها الأساس هو الشك و الطمع و الأنانية بين البشر بحيث تحاول كل ملامح فيه أن تطغى على الملامح الأخرى ، دون أن يعي البشر أن هذا الإنسان مميز و جميل بهيئته الشاملة هذه و لا داعٍ أبداً لأي تغيير فيها .. و أخشى ما أخشاه أن يودي هذا الثالوث المرضي **الشك و الطمع و الأنانية** بمصير الأرض و البشرية في النهاية ، عندما يرفض البشر أن يتقاسموا كوكب الأرض و خيراته و بهجته سوياً فيطمع كل طرف بالكعكة بكاملها لنفسه فيشهد كل طرف على الآخر متوهماً أنه يورطه و ينقذ نفسه ، لكن ما يحدث في الحقيقة هو أنّ الطرفين يوقعان سوياً على نهايتهما !!

❁ فلسفة الموت :

الإيديولوجيا هي الوسيلة الأقوى و الأشيع لغسيل العقول ، حيث تطحن العقل بين مطرقة الترهيب من الجحيم و سندان الإغراء بالنعيم الأبديين ، فينصاع

المرء للتوجيهات لأنه بحسب ظنه سيدخل النار إن لم ينفذها بحذافيرها ، و بأن الجنان تنتظره على مصرعيها إن انصاع لها دون سؤال أو تفكير أو تباطؤ .. و تحت هذا البند ينطوي الإرهابيون الانتحاريون الذين يفجرون أنفسهم بالمدنيين الأبرياء العزّل .. و الإيديولوجيا لا تقف عند حدود السماء ، فربما كانت الإيديولوجيا عقيدة أرضية بلا غايات ماورائية ، كحال طياري الكاميكازي الإنتحاريين في اليابان الذين ضحوا بأرواحهم لأجل انتصار الامبراطور لا غير ..

أو النازيين الذين اقتحموا الموت بسعادة أملاً في تحقيق حلم الرايخ الألماني الجديد .. أو الحشاشين الذين نفذوا الاغتيالات و انتحروا في سبيل قائدهم .. و غيرها من الأمثلة التي تصب في محرق واحد و هو غسيل الدماغ بأن القضية الفلانية أهم من حياة الإنسان حرفياً .. أي أن تموت من أجل القضية بدلاً من أن تعيش من أجلها

.. فتخيل درجة غسيل العقول التي تصل بالإنسان إلى إنهاء حياته مخالفاً تعاليم خالقه الذي قالها بوضوح (**لا تقتلوا أنفسكم**) ، أو الأسوأ إنهاء حياة الآخرين العزّل معه في جريمة يهتز لها عرش الرحمن الرحيم ..

❁ الثقب الدودي للخطيئة :

في الحقيقة عالم الخطيئة المظلم يشابه إلى حد بعيد بنية الثقب الدودي الفضائي من **3** زوايا ..

= **المدخل هو الثقب الأسود الذي يجذب الأشياء المارة بجواره بما فيها الضوء بقوة كبيرة** : و هذا حال دوامة الخطيئة ما إن يضع الإنسان قدمه فيها فستسحبه إلى ظلام قاعها الدامس ليغرق ضمير الإنسان كلياً ..

= **للثقب الأسود منطقة تدعى (أفق الحدث) و هي المنطقة التي يبدأ منها تأثير الجذب إلى غير رجعة** بمعنى آخر هي مسافة الأمان التي تفصل الأجرام السماوية عن الثقب الأسود .. و هو بالضبط مسافة الأمان التي يجب على الأجرام البشرية ألا يتجاوزوها في الحياة كي لا يُجذبوا إلى ظلام الخطايا ، فالموضوع برمته يبدأ بخطوة أولى فإن استساغها المرء غرق في مستنقع الخطايا النتن أكثر على نحوٍ غير عكوس ..

= **المخرج هو الثقب الأبيض** ، و هو البوابة الأخرى للثقب الأسود الذي تخرج منه الأشياء عبر ما يدعى

علمياً **جسور أينشتاين روزن** ، و هو يعادل في الحياة مفهوم التوبة عن الخطيئة أي مغادرة ظلام الثقب الذي جُذب إليه .. و كما أن الأجرام تدخل الثقب الأسود من جهة في الكون لتخرج من الثقب الأبيض في جهة معاكسة ، كذلك الإنسان الذي يدخل ظلام الخطيئة يخرج من الثقب الأبيض إنساناً آخر مختلفاً جذرياً و قد تعلم الدرس الأهم في الحياة (**طريق الظلام مرير و بلا نتيجة**) ، و لا غنى عن الإيمان بالله لتحقيق ذلك فوحده من **يخرج البشر من الظلمات إلى النور** ..

❁ العدوّ الوهميّ :

في أعماق النفس البشرية، ثمة نزوع غامض لا يهدأ، نزوع يدفع الإنسان **للبحث عن عدو** .. إن لم يكن هذا العدو موجوداً في الخارج، ابتكرته المخيلة وخلع عليه المرء كل مخاوفه و مكبوتاته وأشباحه. فالإنسان – وقد

أثقلته تناقضاته الداخلية وأعياه صراعه مع ذاته – يجد في وجود عدوٍّ خارجي فرصة لتبديد ما يختلج في داخله من قلق وارتباك. إنّه يختصر العالم في صورة واحدة، يركّز الظلال جميعاً في شخص أو كيان، ويصبّ فيه كل ما يعجز عن احتماله من ظلمة نفسه. و هنا يظن أنه قد حاصر مشاكله، وجعلها جسداً واحداً يمكن أن يُسقطه بضربة واحدة.

إنها آلية نفسية عتيقة، تشبه ما كان يفعله الإنسان الأول حين يقدّم قرباناً لآلهته طمعاً في أن تُرفع عنه اللعنة. العدو المعاصر هو **كبش الفداء** الذي به نتوهّم أننا نغتسل من قذاراتنا، وأننا ننتصر على هشاشتنا. وما أشد غرور الإنسان حين يظن أن سحقه للآخر يمحو ما ينهش داخله من ضعف ! إن الانتصار على عدو خارجي قد يمنح نشوة عابرة، لكن الجروح الداخلية تظل مفتوحة، لا يندمل نزيفها لأن أصلها لم يكن في الآخر، بل في الذات نفسها.

ولهذا تتكرر المأساة عبر العصور : كلما سقط عدو، تَطَلَّبَت النفس عدواً جديداً. كأن البشرية محكومة بدوامة لا تعرف الفراغ، لا تقبل أن تبقى بلا خصم تتصارع معه. في غياب العدو، يلوح الفراغ، ويطلّ سؤال المعنى. وأخطر ما يواجهه الإنسان ليس عدواً خارجياً، بل فراغاً داخلياً يسائله باستمرار : من أنت ؟ وماذا

تصنع هنا ؟

غير أن الحقيقة الأعمق تكمن في أنّ تقسيم البشر إلى ملائكة و شياطين ليس سوى وهم مريح. فالإنسان – أي إنسان – ليس هذا ولا ذاك وحده، بل هو الاثنين معاً في صورة واحدة. في داخله يقطن نور وظلمة، رحمة وقسوة، صدق وكذب، محبة وكراهية. لا يوجد إنسان بريء تماماً كما لا يوجد إنسان شرير تماماً.

وما ينطبق على الأفراد، ينطبق على الجماعات والأحزاب والدول والتحالفات. فليست هناك قوة سياسية تلبس ثوب الطهارة الخالصة، ولا أخرى غارقة في الرجس المطلق. إنها جميعاً تعبيرات مختلفة عن هذا

الخليط البشري، عن هذا الكائن المزدوج الذي هو الإنسان.

حين ننظر إلى الأمم بعين منصفة، ندرك أنها تسلك سلوك الأفراد أنفسهم : تتباهى بفضائلها لتغطي عيوبها، وتهاجم الآخرين لتُخفي ما في داخلها من ضعف، وتتذرع بمبادئ نبيلة لتبرّر جشعها وسعيها وراء النفوذ. وكما يزعم الفرد أن عدوه يجسّد كل الشر، كذلك تفعل الدول حين ترسم حدود الخير والشر وفق مصالحها وأوهامها. وهكذا يستمر الصراع، لا لأنه صراع بين الحق المطلق والباطل المطلق، بل لأنه صراع بين ذوات مزدوجة، كلٌّ منها تحمل نورها وظلالها في آن واحد.

إن الإقرار بهذه الحقيقة – حقيقة أن كل إنسان هو ساحة مزدوجة تتجاور فيها القمم والهاويات – هو الخطوة الأولى نحو الحكمة. فبدلاً من أن نُسقط شرورنا على الآخر، يجدر بنا أن نتأمل وجوهنا في المرايا الصامتة، أن نعترف أن ما نراه في العدو ليس سوى صورة مشوهة لما نخفيه في دواخلنا. العدو الحقيقي قد يكون مرآة، يكشف لنا ما لا نجرؤ على رؤيته في ذواتنا.

لكن هذه الحكمة عسيرة المنال، لأن النفس البشرية تميل إلى البساطة واليقين. إنها تخاف من **الرمادي**، من

الاعتراف بأن الخير والشر متداخلان بلا حدود واضحة. لذلك تُصر على خلق الثنائيات الحادة : "نحن" مقابل "هم"، "الخير" مقابل "الشر"، "الملائكة" مقابل "الشياطين". هذه الثنائية الوهمية تمنح الناس شعوراً بالوضوح، بالاستقرار، حتى وإن كان زائفاً.

إن مواجهة حقيقة الثنائية داخل كل فرد وجماعة ودولة تتطلب شجاعة نادرة : شجاعة أن نقول إننا لسنا أنقياء ولا مدنسين بالكامل، وأننا لسنا أبطالاً مطلقين ولا أوغاداً مطلقين. إنها شجاعة أن نقبل بالتعقيد، أن نكف عن اختزال العالم في صور كاريكاتورية مريحة.

ولعل أكبر مأساة للبشرية أن معظم صراعاتها الكبرى نشأت من هذا العجز عن تقبّل التعقيد. كل حرب كبرى، كل انقسام سياسي، كل تحالف دولي لم يكن إلا مسرحاً تتجلى فيه هذه الحاجة المرضية إلى تبسيط الواقع : (نحن الملاك ، وهم الشيطان) .. (نحن الخير و هم الشر) .. (نحن الحق و هم الباطل) ، وما إن يرفع كل طرف رايته، حتى تُستباح الدماء باسم الطهر، ويُشرّع العنف باسم الفضيلة.

فلنقلها بصراحة : لا خلاص للبشرية إلا حين تعترف أن العدو يسكن داخلها قبل أن يكون خارجها، وأن الملائكة والشياطين يتجاورون في كل قلب قبل أن يتمثلوا في أي حزب أو دولة. حينها فقط قد نكسر الدوامة، ونحرر

أنفسنا من عبودية الأوهام.

فالحكمة لا تعني إنكار وجود الشر في العالم، بل إدراك أنه ليس غريباً عنا. والفضيلة لا تعني ادعاء الطهر المطلق، بل شجاعة مواجهة ظلالنا الخاصة. وربما كانت أعظم رحلة يخوضها الإنسان ليست تلك التي ينتصر فيها على عدو خارجي، بل تلك التي يتصالح فيها مع نفسه، مع ازدواجيته، مع حقيقته المعقدة التي لا تختزل في ملاك أو شيطان.

❁ حلال على الشاطر :

(سأنتهز أي فرصة تتاح لي كي أجمع المكاسب من الضعفاء .. فذاك حلال على الشاطر و القانون لا يحمي المغفلين ..)

جملة ميكافيللية شعبية شائعة في المجتمعات تبرر الاحتيال و الخديعة للآخرين و تخدر الضمائر .. لكنَ الاحتيال قذر مهما حاولنا تجميله بمساحيق الذكاء و الحنكة أو الغطاء القانوني .. و الكارما لا ترحم أبداً ، فمن يزرع الشوك لن يحصد إلا الندامة و من يبذر الريح لن ينمو في وجهه سوى أعاصير تودي بحياته ..

الدهاء يلوح أمام أعين المحتال كضوء بعيد، يعده بالقوة ، لكنه فخ للآخرين سيقع هو نفسه فيه ..

كل خدعة زرعها تتحول إلى حجر يثقل صدره و روحه، كما سيزيف يدفع صخرته بلا توقف ..

الربح المبني على الظلم سراب جميل يذوب كندى الصباح مع مرور الزمن ، تاركًا الفراغ و الندم.

الكون يرقب بصمت، يعيد لكل فعل جزاءه، مهما طال أو قصّر، فالكارما تغفو لكنها لا تموت .. و كل ساقٍ سيسقى مما سقى ..

كل ابتسامة مخادعة تتحول إلى عبء ثقيل، وكل سر احتيالي يصبح وزرًا لا يطاق ..

المحتال يدور في دائرة أفعاله، يدفع صخرة كل كذبة وكل قلب خان، بلا نهاية ..

و أخيرا الدهاء بلا أخلاق وهم، فالصدق وحده يكسر دائرة العقوبة، ويحرر الروح من دحرجة صخرة الكارما ..

❁ يوم لا ينفع الندم :

قصة (**ندامة الكُسَعِيّ**) هي إحدى الحكايات الشهيرة في التراث العربي، وتُستخدم تعبيرًا للدلالة على أشد أنواع الندم .. و تتحدث عن شخص يدعى **محارب بن قيس الكُسَعِيّ**، وهو من **قبيلة كُسَع** اليمنية، الذي كان يهوى صيد الظباء ، فقرر أن يصنع قوسًا قويًا ومميزًا، فزرع فسيلة في شق صخري، وسقاها حتى نمت وأصبحت صالحة لصنع القوس. بعد أن صنع القوس وأعد خمسة أسهم، ذهب للصيد. أطلق سهامه على الظباء، فكانت تصطدم بالصخور دون أن تصيب أي ظبي.

غضب الكُسَعِيّ وكسر قوسه. لكن عندما خرج من

مكمنه، اكتشف أن الظباء كانت مصابة، وأن أسهمه اخترقتها قبل أن تصطدم بالصخور. فندم على كسره القوس المتين الذي تعذب في صناعته ، و أنشد :

ندمت ندامة لو أن نفسي

تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني

لعمر أبيك حين كسرت قوسي

و منذ ذلك الحين أصبحت ندامة الكسعي مضرب مثل في شدة الندم لدرجة الألم ..

❁ الدهر يومان :

الحياة ليست خطًّا مستقيماً يفضي من نقطة البدء إلى غاية النهاية بانتظام بارد ورتيب؛ بل هي أشبه ما تكون بموجة عاتية، تتأرجح في صعود وهبوط، انبساط وانقباض، كأنها نَفَس الوجود نفسه وهو يستمد أنفاسه من أسرار الكون. فمن وهج الرخاء إلى غشاوة الشدة، ومن ضيق العسر إلى انشراح اليسر، يتقلب الإنسان كما يتقلب النهار في حضن الليل، وكما ينسلّ الفجر من رحم الظلمة. إن نسق الحياة الجيبي هذا هو الدرس الأعظم الذي يحمله الزمن، درس التوازن الذي لا

يكتمل إلا بالتناقض.

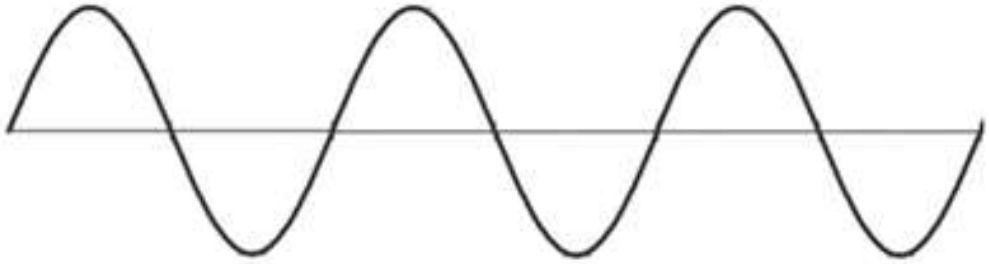

ولذلك قال الإمام **عليّ** :

(الدهر يومان، يوم لك ويوم عليك)

فإن كان اليوم لك، وفتحت لك الأبواب، وجدت الأرض رحبة والسماء باسمة، لكن احذر أن تبطر أو تستغرق في غفلة نشوتك ؛ لأن هذا الانبساط لا يدوم، ودوام الحال من المحال .. مجرد وهم يطارده الإنسان عبثاً.
وإن كان اليوم عليك، وأرخى الليل سدوله على روحك، فلا جزع ولا يأس، بل صبر وثبات؛ لأن ليل الشدة، مهما طال، يتقهقر في النهاية أمام شمس الرجاء. فما على الإنسان إلا أن يتلقّى عطايا الزمن بوعي واتزان، وأن يزن لحظاته بميزانٍ لا يختلّ بالفرح ولا ينهار بالحزن.

لكن سرّ المفارقة أن هذه التناقضات، على قسوتها أو على سحرها، تحمل في طياتها بذوراً إيجابية كبرى. فلولا طعم العسر المرّ، ما كان لليسر أن يضيء بريقه في قلوبنا. نحن لا ندرك قيمة الصحة إلا إذا ذقنا وخز

المرض، ولا نعرف حلاوة الحرية إلا إذا عانقنا القيود، ولا نعي هدية الصداقة إلا إذا تجرعنا علقم الوحدة. إن النور لا يُرى إلا إذا تسلل في العتمة، والصوت لا يُسمع إلا إذا انبثق من سكون، والإنسان لا ينضج إلا إذا تمرّغ في المتناقضات.

العسر ليس لعنة مطلقة، بل هو معلم حازم يطرق قلبك ليصوغ منه معدن الحكمة. واليسر ليس نعمة عابرة، بل هو نافذة على المعنى، يُذكّرك بأن الجمال يستحق أن يُعاش. وبين هذا وذاك يتشكل الكيان الإنساني، لا من نعيم خالص ولا من بلاء صرف، بل من امتزاجهما في نسيج واحد. إن الذي لم يذق مرارة الضيق، حين يأتيه الفرج، يتعامل معه بسطحية الغافلين، كأنما هو حق طبيعي لا هبة سماوية. أما الذي خبر العسر، فإنه حين ينفتح له باب اليسر، يضمّه إلى صدره كمن ضمّ طفلاً انتظره زمناً طويلاً بعد أن ظن جسده عقيماً ..

هكذا، تتكشف لنا حكمة التيار الجيبي للحياة : أن كل هبوط هو دعوة لصعود، وكل صعود هو تذكير بأن الهبوط قادم، فلا غرور ولا يأس. إن وعي هذه الثنائية يحررنا من وهم السيطرة المطلقة على مجريات الوجود، ويمنحنا مقام السكينة، مقام من يبتسم في الرخاء بلا طغيان، ويصبر في البلاء بلا انكسار.
فالزمان لا يتوقف عند حال، والحياة ليست إلا إيقاعاً من التضادات المتناغمة، يعزف على أوتار أرواحنا لحن الخلود

❁ الكون 25 :

تجربة سلوكية نفسية غريبة و فريدة من نوعها أجراها عالم الأخلاق الأمريكي (**جون كالهن**) عام **1986** م ، فقد أنشأ جون ما يعتبر مدينة فاضلة للفئران في مختبره ، فيها رزقٌ دائم و أمان مستمر و مطلق، ثم وضع فيها أربعة فئران، اثنين ذكور و اثنين إناث ، و تركهم بعدها ليعيشوا و يتكاثروا كل **55** يوم و هو يراقبهم و يدرس سلوكهم و يسجله حتى بلغ عددهم حوالي **600** فأراً ، فما الذي حدث خلال تلك التجربة بحسب رأيك عزيزي القارئ ؟

جوابك على الأرجح يفترض بأن الفئران عاشوا حياةً سعيدةً في مجتمع مثالي مؤمن فيه كل شيء بلا

مسؤوليات أو حاجات أو هموم أو مخاوف !

لكن الصادم في التجربة أن ما حدث في الحقيقة هو العكس تماماً ، فمع قدوم الأجيال الجديدة من الفئران إلى الحياة و التي ترعرعت في عالم متوفر فيه كل شيء بدأت الأمور التالية بالتفشّي :

① العدائية من الفئران تجاه بعضها البعض ..

② الأنانية المفرطة خاصة عند الذكور و تخليها عن أزواجها و أولادها ..

③ قتل الأمهات لأطفالها ..

④ سلوكيات اجتماعية و جنسية غير طبيعية من قبل كلي الجنسين ..

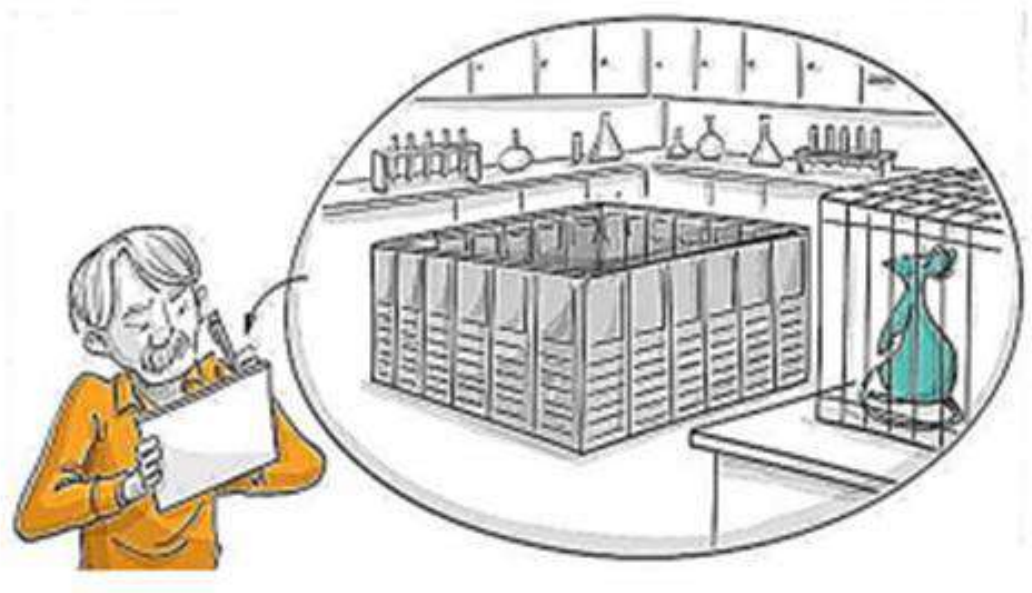

نتائج غريبة و عجيبة تخالف المنطق و التوقعات ، أليس كذلك ؟!

استمرت الأمور هكذا بتراجع أعداد الفئران حتى بقي فأر وحيد بعد عدة سنوات ليموت أخيراً فتنتهي معه تلك التجربة الغامضة و المحيرة و تنتهي أيضاً الأحلام بإقامة اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة كتجربة على مجتمع الفئران ..

لكن لماذا حدث ذلك من وجهة نظر العالم جون العلمية ؟

في الواقع العالم جون لم يفسر النتائج بل وصفها فحسب فالعلم بحد ذاته لا يستطيع تفسير تلك التجربة لأنّ نتائجها لا تعتمد على أسس مادية ملموسة بل أنها تسير بعكس اتجاه التوقع العقلاني المنطقي ، لكننا نجد الجواب الشافي عن أسئلتنا عند الدين و الروحانيات هذه المرة .. في الحقيقة يمكن تفسير تلك النتائج ببساطة شديدة عبر جملة واحدة فحسب :

(**الإشباع و بداية الضياع**)

و ترجمة هذه العبارة أنه بعد التعود على النعم لفترة من الزمن تفقد قيمتها في نظر مالكها تدريجيا ليتلو ذلك طور الانحدار عندما يصل الإنسان إلى مرحلة لا يقدر فيها ما بين يديه فيفقده..

و لا غرابة أنّ ما ينطبق على الحيوان في هذه النقطة ينطبق أيضا على عالم الإنسان .. فجل الأمر ببساطة

أنك يجب أن تجرب الحرمان و الحاجة للشيء أولاً كي تقدر قيمته تماماً فلا تخسره لاحقاً و تحافظ عليه ، أما من يولد في عالم متوفر فيه كل شيء بحيث لا يعرف للحاجة طريقاً سواًء كان إنساناً أو حيواناً (كفئران تلك التجربة) فلن يعي تماماً قيمة النعم ليفقدها عاجلاً أم آجلاً .. فالعملية نفسية بحتة بالمحصلة ..

❁ من يخون الأكسجين يختنق :

من الأفلام الأيقونية في تاريخ السينما فلم (**lucky number slevin**) .. و لهذا الفلم إسقاط فلسفي جميل على الحياة البشرية .. فبطل الفلم ينتقم لنفسه من رجلي عصابات ظلماه بأن يقتلهما خنقاً في نهاية الفلم ..

و كأنه تجسيد معنوي للأكسجين في الحياة الذي يعتدي عليه الشرق و الغرب ببث سموم **CO2** عبر المصانع

و قطع الغابات الجائر .. و الذي سينتقم لنفسه في النهاية بخنق الكوكب شرقاً و غرباً إن لم يتم تصويب الخطأ و تصحيح الظلم الجائر ..

❁ ظلم و ظلام :

لا غرابة أن يشتق اسم الظلم في اللغة من الظلام ، فالظلام قبيح و مكروه ، ينشر الخوف و القلق و الأفكار السوداوية في العقول و النفوس ، و يخفي الأشياء كما يخفي الظلم الحقائق .. و ما أشبه العدل بعود الثقاب الذي يشتعل في لحظة الحقيقة ليبدد السواد و ينشر النور في كل مكان فتتضح الصورة و يشع الحقّ كنور الشمس ، و كل **ظالم** خبأ الحقيقة تحت جنح الظلام ليسود سيأتيه **يوم** يذوق من الكأس الذي سقاه لغيره فيبتلعه ظلمه و ظلامه ، فالكارما تغفو قليلاً لكنها لا تموت بشكل مؤكد

❁ نسبية الصواب و الخطأ :

الصواب و الخطأ مفهوم نسبي مرتبط بالزمان و المكان و العادات و التقاليد و الثقافة و المعرفة ، لذا نجد الفعل ذاته صحيحاً في مجتمع ما و خاطئاً في مجتمع آخر و كل منهما يمتلك مبرراته ، تماما كشكل **9** الذي يقرأ **9** أو **6** بحسب زاوية الرؤيا ..

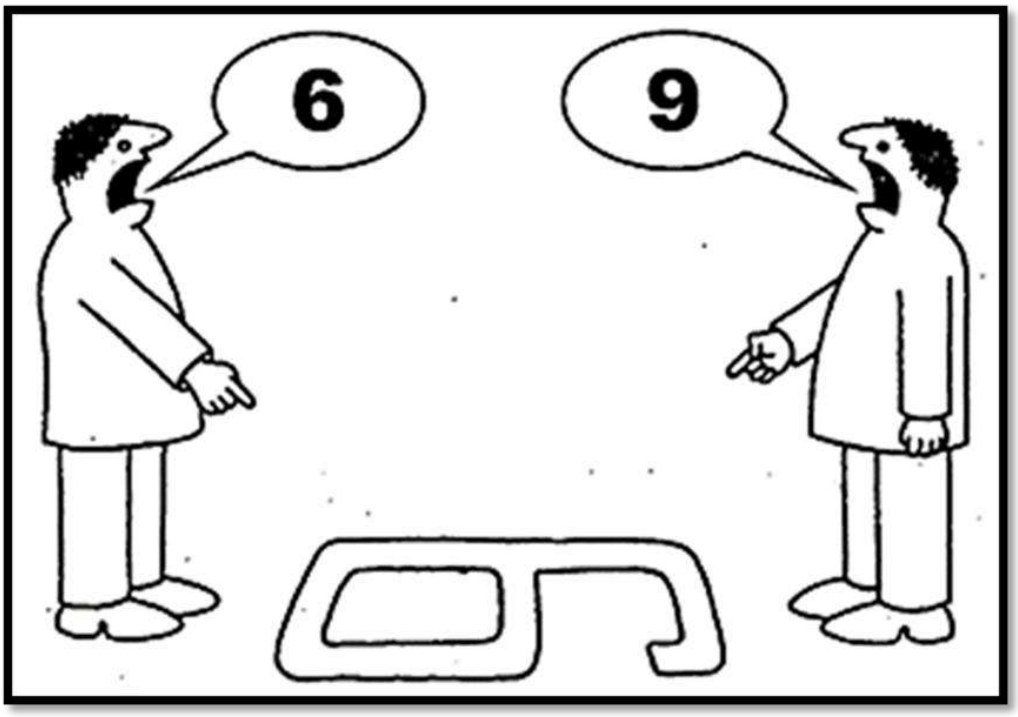

و يمكن تجسيد فكرة نسبية الصواب و الخطأ **بمربع ساتور** الشهير .. و هو مربع مقسم إلى **25** مربع صغير في كل منها حرف .. بحيث يمكنك قراءة الكلمات بأي طريقة تشاء لتعطي نفس المعنى ..

و هذه الكلمات تلخص مغالطتنا بامتياز بأنّ علينا دوماً تدوير الزوايا و فهم كل وجهات النظر كي نميز بين

الصواب و الخطأ كونه مفهوم نسبي كثيراً ، و هذه الكلمات هي :

ROTAS : و تعني تدوير الزوايا ..

SATOR : و تعني الأساس ..

OPERA : و تعني المساعدة ..

TENET: و تعني الفهم ..

و بجمع هذه الكلمات معاً نحصل على جملة عميقة و مذهلة تختصر إلى **AREPO** :

(تدوير الزوايا هو الأساس الذي يساعد على الفهم)

❁ الإنسان يولد ثلاث مرات :

في الولادة الأولى الجسدية لك ، أمك هي من عانت من آلام المخاض المبرّحة ، لكن صدقني عزيزي القارئ بأن ولادتك الحقيقية عندما تكبر هي مخاض أعسر بكثير و ستعاني بنفسك من آلامه ، فليس من السهل على الإطلاق أن تنسلخ عن هويتك القديمة و بيئتك لتولد كإنسان جديد ، فذلك يتطلب إيماناً عميقاً لا يتزعزع بقناعاتك و إرادة فولاذية للمضي في هذه التجربة العسيرة و المخاض المنهك ، لكن صدقني بأنها تجربة عظيمة لا توصف تستحق كل هذا الألم و أكثر ، فعندها فقط ستدرك كم هي جميلة الحياة و ستعرف بالضبط غاية الله من خلقك فيها ..

و تذكر أنك عندما تولد جسداً في الحياة تغطّي جسدك طبقة سميكة من **الدماء** ، **المخاط** ، **السائل الأمنيوسي** و غيرها مما يجعل منظرك قبيحاً ، لكن ما إن يُغسل

جسدك من كل ذلك و تصبح نظيفاً حتى تتحّول إلى مخلوق لطيف بأبهى صورة .. هذه الطبقات المتّسخة تكافئ ما فرضه عليك الأشخاص و البيئة في طفولتك فجعلوا حياتك قبيحة لا تناسبك ، لكن ما إن تنظف نفسك و حياتك منها بإرادتك في ولادتك الحقيقية حتى تصبح بصمة فارقة في الحياة كما أراد لك الله أن تكون .. لذا اصنع قدرك بيديك لا بأيدي الآخرين كي تولد بحق هذه المرّة قبل موتك و ولادتك الثالثة و الأخيرة في الكون الأكبر بين يدي خالقك ..

❁ لا شيء مجاني في الحياة :

لا شيء بالحياة حقيقي أو مجاني .. الحياة تمنحك نعمة و تراقبك .. فإن أنت قدرتها حق قدرها و صنتها ، أبقت عليها بل و ضاعفتها ، و إن أنت استهترت بها و بذرتها انتزعتها منك و جعلتك تقاتل بمفردك كي تحصل عليها من جديد ، لأنك في هذه الحالة فقط ستفهم قيمتها بعد أن بذلت الجهد فتحافظ عليها من تلقاء نفسك

من الأقوال المأثورة في أرشيف التاريخ :

(كنت أحزن لأني لم أكن أملك حذاءً ولكني توقفت عن الحزن لما رأيت رجلاً بدون قدمين)

و هذه المقولة تشرح مفهوماً هاماً للغاية و هو مفهوم

التعاضد النفسي ، فرؤيتنا لأشخاص من حولنا حرموا من أشياء نملكها يجعلنا نشعر بقيمتها و نصونها و نحمد الله عليها .. لذا تذكر عزيزي القارئ بأن مقابل أي شيء لا تملكه هنالك مئات الأشياء التي تملكها و لا يملكها غيرك .. و بالمحصلة السماء وزعت النعم على البشر بالعدل لا بالتساوي ..

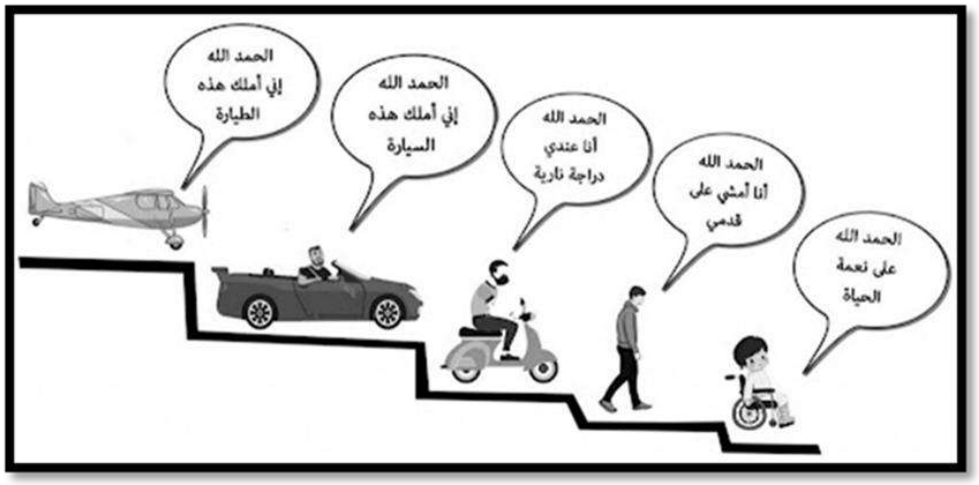

❁ التاريخ يعيد نفسه :

مقولة شهيرة تؤكد أن الأحداث التاريخية تتكرر من زمن لآخر و من مكان لغيره باختلاف الأشخاص و الأسماء لا أكثر مستمدةً عمقها من النظرية العلمية التي تقول : (تكرار التجربة نفسها بالظروف نفسها سيعطي النتيجة نفسها) ، و هذا ما يدعى **وصاية السماء** في الشرق و بالتحديد في الصين أو **لعنة التكرار** في الغرب ، و هذان المصطلحان يؤكدان أنّ الحاكم غير العادل يفقد دعم السماء له و يبيد ، مما يعني أن الأحداث ستتكرر مع تكرار وصول حكام ظالمين إلى سدّة الحكم

، كما قال **نيكولو ماكيافيلي** في تحليله لتقلبات سياسات **فيورنتينا** و **إيطاليا** في القرنين **14** و **15** :

(عندما تصل الدول إلى أعلى درجات كمالها، سرعان ما تبدأ بالانهيار بنفس الطريقة، بعد أن قلصتها الفوضى وغرقت في حالتها المتناهية من الانحطاط، عاجزةً عن الانحدار أدنى من ذلك، ثم تصعد مجدداً من رحم الحاجة، وهكذا، تنحدر تدريجياً من الخير إلى الشر وترتقي من الشر إلى الخير و بذلك يعيد التاريخ نفسه من جديد بين الآونة و الأخرى)

❁ كرتا غالليلو :

هي تجربة مثيرة للغاية قام فيها العالم الإيطالي الشهير **غاليلو** بإسقاط كرتين مختلفتين في الكتلة من قمة **برج بيزا المائل** لإثبات أنّ زمن السقوط الحر لا يعتمد على الكتلة ، محاولاً بذلك دحض نظرية الجاذبية **لأرسطو** التي تنصّ على أنّ سرعة سقوط الجسم تعتمد على

كتلته .. و في الحقيقة فرضية غاليلو صحيحة فيزيائياً لكن في شروط خاصة ، لأن من يتحكم بتسارع سقوط الأجسام في الجوّ هو مقاومة الهواء لها و التي تتأثر بكتلة الأجسام ، لكننا إن أسقطنا **ريشة** و **مرساة** في **حيز من الخلاء** فسيصلان إلى القاع بنفس التوقيت !! ..

و ما نريد إيصاله من هذه التجربة أن الناس جميعهم قادرون على إنجاز نفس الأمور إن جمعتهم الظروف ذاتها بدون عوائق متفاوتة فيما بينهم، بمعنى أن العقبات و الصعوبات في الحياة هي ما يؤدي إلى نتائج مختلفة في الإنجاز .. أي أنّ الحياة القاسية تلعب مع البشر دور الهواء الذي يقاوم اندفاعهم ، و كلما زادت كتلة البشر **(إمكانياتهم و قدرة تحملهم** و **عزيمتهم و إصرارهم)**

زاد تسارعهم و تذليلهم لهذه المقاومة كي يبلغوا الأرض (**أهدافهم**) بزمن أسرع و بطريقة أسهل ، و لولا صعوبات الحياة هذه لبلغ الإنسان ذو الإمكانيات المتواضعة و الذي لا يبذل أي جهد أو لا يمتلك أي تجارب (**الريشة**) هدفه بنفس سرعة و سهولة بلوغ الإنسان المعاني و الخبير (**المرساة**) لنفس الأهداف ..

و كما يقول الناشط الحقوقي الأمريكي مالكوم **X** :

(الحياة لم تصبح أسهل أنت أصبحت أقوى)

و هذا الكلام صحيح حرفياً .. فالحياة قاسية للغاية و لا تمنحك أهدافك بسهولة ، بل تتطلب منك الجهد و الصبر و المثابرة حتى تستحق هداياها .. و يستحيل أن تجد أحداً ناجحاً في الحياة من فراغ ، إذ لابدّ أن تجد في ماضيه تعباً مزمناً و قافلة من التضحيات قادته إلى هذا النجاح .. أما قول البعض :

(الحياة ابتسمت لهم أخيراً و أصبحت أسهل مما كانت عليه من قبل)

فهو مغالطة شائعة للغاية في الحياة ، فالحقيقة أن الحياة لم تتغير يا صديقي و لم تصبح أسهل على الإطلاق ، بل أنت أصبحت متمرساً في التعامل معها و خبيراً في تجنب كوارثها و اغتنام فرصها و هداياها عبر سنين طوال من التجارب و الدروس ..

❁ العين البشرية أفضل كاميرا في التاريخ :

فكر قليلاً عزيزي القارئ بهذه الحقيقة الغريبة :

(إنك مع كل رمشة عين تصوّر لحظة من الحياة كمنظر أو حادثة توثّق من خلالها ما جرى ، و تخيل عدد الصور المرعب التي التقطتها عيناك خلال حياتك)

فبشكل عام يرمش الإنسان العادي من **10** إلى **12** مرة في الدقيقة، أي أكثر من **6** مليون رمشة في السنة ، فإن عاش الإنسان بالمتوسط **60** سنة فسيرمش خلالها قرابة **400** مليون رمشة !! تخيل أنك تصور هذا العدد الهائل من الصور في حياتك بتنوع مضمونها

من لحظات سعيدة إلى حوادث مؤلمة إلى أحلام يقظة انتهاءً بالصور الأخرى التي تشاهدها بنفسك على الأجهزة الالكترونية أو شاشات التلفاز و السينما و غيرها .. أي أنّ الفصّ القفوي في دماغك عبارة عن ألبوم صور يضم **400** مليون صورة مبهرة .. و هذا أنت كفرد واحد ، فتخيل المتحف الذي يضم لوحات كل البشر الذين سيعيشون على هذا الكوكب و وراء كل لوحة منها حكاية فريدة.. نظرية مذهلة بكل ما تحمله الكلمة أو بالأحرى الصورة من معنى !!

❁ الانحياز التأكيدي :

الانحياز التأكيدي ليس مجرد خلل في طريقة التفكير،

بل هو مرآة خادعة يرى الإنسان فيها العالم على هواه، لا كما هو في حقيقته. إنّه ميلٌ دفين في النفس يجعلنا

نتمسك بما نريد أن نصدّقه، ونتجاهل ما يناقضه، حتى وإن كان البرهان واضحًا كالشمس. وكأنّ العقل، بدل أن يكون أداة بحث عن الحقيقة، يتحوّل إلى محامٍ شرس يدافع عن قضيّة خاسرة فقط لأنّها قضيّته.

ينشأ الانحياز المعرفي من حاجة الإنسان العميقة إلى التماسك النفسي ؛ فهو يكره أن يرى نفسه مخطئًا، ويخشى أن تتزعزع صورة العالم التي بنى عليها اتزانه الداخلي. لذلك، حين يواجه دليلاً يهدم ما يؤمن به، لا يتقبّله بعقلٍ بارد، بل يتعامل معه كتهديدٍ شخصي. فيردّ عليه لا بالمنطق، بل بالإنكار، أو بالتقليل من شأنه، أو بتأويله حتى يتناسب مع معتقده القديم. وهكذا، يُخضع الواقع لرغباته، بدل أن يُخضع رغباته للواقع.

أخطر ما في هذا الانحياز أنّه لا يُرى. فكلّ إنسان يظنّ نفسه موضوعيًّا، محايدًا، منطقيًّا، بينما ينسج عقله في الخفاء خيوط الوهم. نحن لا نرى الأدلة كما هي، بل نراها **من خلال عدسةٍ مصقولةٍ بأهوائنا وتجاربنا السابقة**. فإذا كرهنا شخصًا، صرنا نرى في كلّ تصرّفٍ له ما يؤكد كرهنا، وإذا أحببناه، فكلّ ما يفعله يبدو لنا مبرّرًا وجميلاً. إنّنا لا نرى العالم بل نرى أنفسنا منعكسةً فيه.

وهكذا، يتغذّى الانحياز على ذاته. فكلّ دليل ننتقيه يعزّز ثقتنا برأينا، وهذه الثقة تجعلنا أكثر تعصّبًا له، فنزداد

انتقائية في رؤية الأدلة. ومع مرور الوقت، يتحوّل الفكر إلى **دائرةٍ مغلقةٍ لا يدخلها نور جديد، دائرةٍ من اليقين الزائف الذي يحجب الحقيقة بقدر ما يطمئن النفس**. في تلك اللحظة، يصبح الإنسان أسيرًا لوهمه، يتوه في متاهةٍ من الخداع الذاتي، ويظنّ أنه يمشي على أرض الصواب، بينما هو يغرق في رمال الانغلاق العقلي.

الانحياز المعرفي إذًا ليس مشكلة في المعلومات، بل في طريقة استقبالها. هو مرض الوعي حين يختار ما يريد أن يسمع، ويغلق أذنه عمّا سواه. لذلك، فإن مقاومته لا تكون بتكديس الأدلة، بل بالاعتراف بضعفنا أمام الحقيقة، وبأنّ عقولنا محدودة مهما بلغت ثقافتنا. وحده التواضع الفكري يفتح نافذة على الواقع كما هو، لا كما نهوى. فكلّ بحث عن الحقيقة يبدأ بالشك في الذات، لا باليقين فيها، فلانحيازٍ لا نراه، لكنه يوجّه أعيننا،

ويقودنا في صمت نحو ما نريد أن نؤمن به، لا نحو ما هو حقّ فعلاً .. كأن يرى البعض بعين الشحرورة صباح و يغمض عينه الأخرى عن كوكب الشرق الست أم كلثوم على سبيل المثال لما سبق ..

۞ تسعة 9 هو أكثر من مجرد رقم :

سبق لنا و أن شرحنا منذ **16** عاماً تفسير الآية القرآنية الكريمة :

(و لقد جعلنا في السماء بروجاً و زيناها للناظرين)

و بينا أن **الله** هو رقم **9** في مركز هذا البرج مع أسمائه الحسنى **99** و أنه يجمع في جوهره القمر (هلال و بدر) أو رمضان من جهة ، و أيلول أو

الشمس أو النجم الذي يدور في فلكه ثمانية كواكب من جهة ثانية .. و كل الأضداد المعروفة (الأول و الآخر .. الظاهر و الباطن و غيرها ... عدا **الحيّ** فالله لن يكون **ميتاً** بأي شكل من الأشكال و تحت أي ظرف من الظروف) ..

و في الحقيقة الزيتونة (شجرة السماء المقدسة) تشكلت في رحم الكون الأكبر (الأب و الأم) عبر **9** مراحل تطورية كما لخصتها بإيجاز أسطورة حي بن يقظان ..

فأسرار رقم **9** في السماء تفوق في أهميتها و خطورتها أسراره على الأرض !!

❁ موشور الحياة :

تخيل الدنيا كموشور كوني شفاف، قطعة بلورية ضخمة، تتدلّى في فضاء الحياة لتلقي النور من مصدره الأسمى، نور الله، المونـاد المطلق، الذي لا يعرف الحدود ولا يتجزأ. هذا النور ليس مجرد ضوء عابر، بل هو وعي أزلي حيّ، ينبثق من الجوهر المطلق ليحيي كل شيء. وعندما يمر عبر الموشور، يتشظى ويتناثر إلى ألوان الطيف، وكل لون يطفو على سطح الحياة كفوتون مستقل، يحمل شعاعاً فريداً من النور الكلي، لكنه لا ينفصل عن أصله.

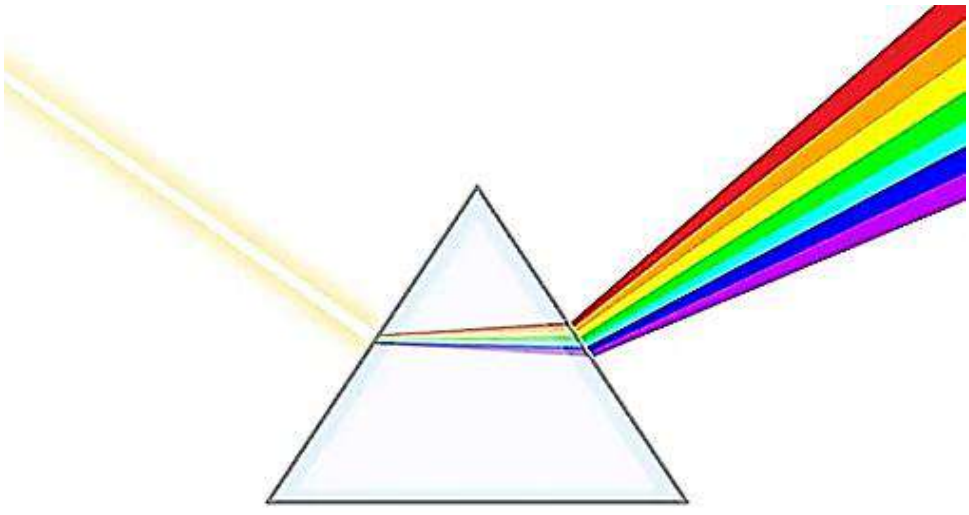

كل إنسان هو فوتون من النور الإلهي، نقطة ضوء متفردة، كيان ذو إرادة ووعي، يتفاعل مع الألوان الأخرى، يضيء العالم بما يحمله من وعي وإحساس،

ويختبر طريقه عبر الموشور كرحلة تعلم واكتشاف.

الألوان، رغم استقلالها الظاهر، ليست منفصلة عن جوهر النور. فهي تتصارع أحياناً، تتقاطع أحياناً أخرى، فتولد ألواناً جديدة في تصادمها، وتنبعث موسيقى كونية من انسجامها. في الحب، تتقارب الأشعة، تتشابك، فتخرج ألوان جديدة تنير دروباً لم تكن متوقعة، وفي الصراع، يختلط الظل بالضوء، فيتجلى جوهر النور في اختبار الانقسام والتباين. كل تجربة، كل شعور، كل لحظة حياة، هي محاولة من كل فوتون للحفاظ على حيويته والارتباط بالنور الأصلي، لتصبح التجربة الأرضية مرآة للكون الكامل، حيث يبدو الانفصال، لكنه في العمق وحدة متخفية، وكأن الموشور نفسه يختبر كيف يمكن للنور أن يتشظى ليعرف ذاته عبر تنوع ألوانه.

ومع انتهاء الحياة، ومع خروج كل فوتون من حدود الموشور، يبدأ التحوّل العظيم : رحلة العودة إلى الوحدة. الألوان المتناثرة، التي بدت بعيدة ومستقلة، تبدأ في الالتقاء تدريجياً، كأنها تتذكر أصلها الأول، وتعود لتلتئم في شعاع واحد مشرق صافٍ لا يشوبه الانقسام. هذه هي **قيامة المونـاد**، اللحظة التي يظهر فيها النور الإلهي في كماله، واضحاً لا ينكسر، جامعاً كل تجارب الفوتونات البشرية، كل لحظات الانفصال والاتحاد، الحب والكراهية، الضوء والظل.

في هذه اللحظة، تتجلى الحقيقة النهائية : أن كل لون وكل روح وكل حياة، مهما بدت ضائعة أو متفرقة، كانت دائماً جزءاً من الكل، وأن نهاية كل مسار فردي ليست سوى عودة الضوء إلى جوهره الأصلي. وهكذا، تتحقق الوحدة الكاملة، وتعلو السيمفونية الكبرى للوجود، ليصبح الكون كله لوحة واحدة، نور واحد، ووعي واحد.

۞ والله متمٌ نوره :

كثير من الأشخاص و الجماعات عبارة عن ظواهر صوتية ، مجرد أبواق تبث سمومها ليلاً و نهاراً كي تغسل عقول الناس بمعلومات مغلوطة و غير حقيقية كي يحصلوا أكبر قدر ممكن من المكاسب الفردية و الجماعية .. هؤلاء هم بالضبط من قصدهم الله بقولهم أنهم يريدون إطفاء نوره بأفواههم .. فهم عاجزون عن أي شيء آخر باستثناء الشعارات و الكلام الأجوف .. و لكن وعد الله ثابت بأنه سيتم نوره مهما نعقت الغربان و ستمضي قافلته مهما عوت الكلاب المسعورة .. و يثبت وجوده و هويته مهما تعامى النعام عنها و وضع رأسه في التراب كمن يخفي الشمس خلف إصبعه .. و أعتقد من وجهة نظر شخصية أن أبلغ حركة قام بها العلماء في التاريخ هي طرد كوكب **بلوتو** خارج رحمة **الشمس** و مجموعتها فهو احتل المركز التاسع زوراً لكنه خرج

منه مجبوراً ..

❁ الذهب يبقى ذهباً :

يعتقد كثير من البشر أن قيمة الذهب من ندرته لا أكثر ، لكن في الحقيقة الذهب يكاد يكون المعدن الوحيد الذي يمتلك خصائص مادية و روحية فريدة في آنٍ معاً .. ندرته ، بريقه ، سحره ، نقاؤه ، صفاءه .. و ثباته في وجه تحديات الزمن دون أن يتآكل أو يصدأ .. لذا اعتبره البشر بإجماع عالمي القيمة الأعلى في السوق التي تضمن اقتصاداً عالمياً عادلاً .. و لعل أجمل ما في الذهب هو وفاؤه .. فإن غدرت بك الظروف كلها سيبقى إلى جانبك و يحافظ على قيمتك .. لذا في كل الأزمات المالية العالمية من كساد و ركود و غيرها .. من امتلك الذهب لم يتأثر ..

و هنالك في أرشيف التاريخ أمثال و اقتباسات كثيرة عن الذهب، لكن من وجهي نظري الشخصية أجد أجمل مقوله تلخص فلسفة الذهب كلها هي :

الذهب يظلّ ذهباً ..

فهو لا يصدأ و لا يفقد قيمته مهما تقلبت الأحوال و تبدلت الأنفس و الوجوه .. كما أطربنا أمير الطرب **جورج وسوف** بأغنيته الأيقونية عن الذهب ..

❁ معضلة القنفذ :

معضلة اجتماعية شهيرة ، تقول بأن القنافذ في الجو البارد تحاول الارتصاص بجوار بعضها البعض بغية تدفئة أجسادها ، لكن و بسبب الأشواك الحادة عليها فإنها تجبر على ترك مسافة أمان بين بعضها كي لا يؤذوا أنفسهم بأشواكهم هذه .. و هذا في الحقيقة ينطبق على **العلاقات الاجتماعية** بين البشر أيضاً ، فهي شيء ضروري لا غنى عنه لخلق توازن نفسي سوي ، كون وجود الآخرين في حياتنا باعث على الأنس و الدفء و

الطمأنينة ، لكن هنالك خطوط حمراء لا ينبغي تجاوزها و إلا تحولت هذه العلاقات إلى علاقات مؤذية و ربما سامة بسبب اختلاف القناعات و الميول و الأهواء كأشواك القنافذ بالضبط ، لذا عليك بالعلاقات الرسمية عزيزي القارئ كي تحافظ على أوتار الود بينك و بين الآخرين دون توتر أو انقطاع ..

❁ النجاح لا يعني تحطيم الآخرين :

كثير من البشر يميلون لإثبات قوتهم عبر تحطيم منافسيهم بالقول أو الفعل ، بدلاً من التفوق عليهم بالإنجاز الذاتي .. و في قصة قصيرة مفعمة بالعبر فقد

أراد شاب ياباني أن يتتلمذ خلف حكيم في بلده ليصبح إنساناً أفضل و أنجح فقام الحكيم برسم خط على الرمال و طلب من الشاب أن يجعله أقصر ، فما كان من الشاب إلا أن مسح جزءاً من ذلك الخط ، فقال له الحكيم نافياً : **النجاح لا يتحقق بتحقير الآخرين بل بجعل إنجازاتنا أفضل منهم** ، و رسم الحكيم خطاً موازياً للخط الأول و أطول منه ثم قال : **هكذا أصبح الخط الأول أقصر ..**

لذا لا تهدر وقتك في عد عيوب الآخرين أو تحطيمهم و تحقير إنجازاتهم كي تبرز ذاتك بذلك ، بل اجعل خطك في الحياة أفضل و أطول بالإنجازات الذاتية و عندها فقط تتفوق على الآخرين بشرف و عدل و حياد .. و للأسف هذا ما لا تنتهجه جهات كثيرة في العالم و التي لا تقدم شيئاً مفيداً للبشرية بل تحاول إثبات ذاتها عبر تحقير الإنجازات الضخمة للجهات الفاعلة و المؤثرة ،

لكن في النهاية الأرقام لا تكذب و تضع كل جهة في الخانة المناسبة و الحجم الحقيقي ..

❁ العقاب بالتشجيع !! :

في أعماق غابات الكاميرون، توجد قبيلة تتبع طقساً غريباً عندما يخطئ أحد أفرادها ، فبدلاً من العقاب، يُحاط المخطئ بدائرة بشرية لمدة ثلاثة أيام، ويقوم أفراد القبيلة بتذكيره بصفاته الإيجابية وإنجازاته فيقولون له :

أنت شجاع عندما دافعت عن القبيلة

أنت كريم عندما قسمت طعامك مع الجائعين

أنت حكيم عندما أنهيت النزاع بين العائلات

و هذا الأسلوب ناجع بشكل مبهر ، لماذا ؟!

في الحقيقة العقل البشري، كما يقول عالم النفس الشهير **كارل يونغ**، يؤمن بما يراه في المرايا من حوله فلو أخبرت الطفل ألف مرة أنه كسول، سيصدق ذلك و يصبح كسولاً .. لذا قيل في التراث :

(تكرار الكلام له تأثير أقوى من السحر)

لذا علينا أن نشجع الآخرين باستمرار لاسيما عندما يخطئون كي لا يصبح الخطأ عادة لديهم ، فلا ننفر منهم بل نذكرهم بجذورهم الإيجابية الجميلة الحقيقية .. أما التقريع و العقاب اللفظي أو الجسدي فلا يفيد سوى بتكريس فلسفة الخطأ عند الإنسان أو حتى دفعه للعناد في الخطأ من منطلق انتقامي بسبب عقابه ..

❁ موقف بسيط يوضح لك الكثير :

يروى عن **غاندي** أنه كان ذات مرة يلاحق القطار لركوبه بعد أن تأخر عن موعده ، و في النهاية تمكن أخيراً من القفز إليه لكنه فقد أحد نعليه خلال القفز ، فما كان منه إلا أن خلع النعل الآخر و رماه بجوار الأول ، فسأله ركاب القطار بتعجب عن سبب فعله لذلك ، فقال : ماذا سأفعل بفردة حذاء واحدة ؟ دع من يجد النعلين معاً الآن يستفيد منهما !!

المشاعر الإنسانية النبيلة هي عقلية لا يمتلكها الجميع ، فكثير من البشر في حالة غاندي ما كان ليفكر بالآخر ،

بل سيحتفظ بالنعل المفرد و يندب حظه على خسارة الآخر .. و لهذا استحق غاندي لقب **المهاتما** (أي **الروح العظيمة**) بجدارة و استحقاق.. و بقي أيقونة حول العالم بالأخلاق و الشعور بالآخرين .. و كما يقال :

(موقف بسيط وحيد يوضح لك الكثير عن الآخرين)

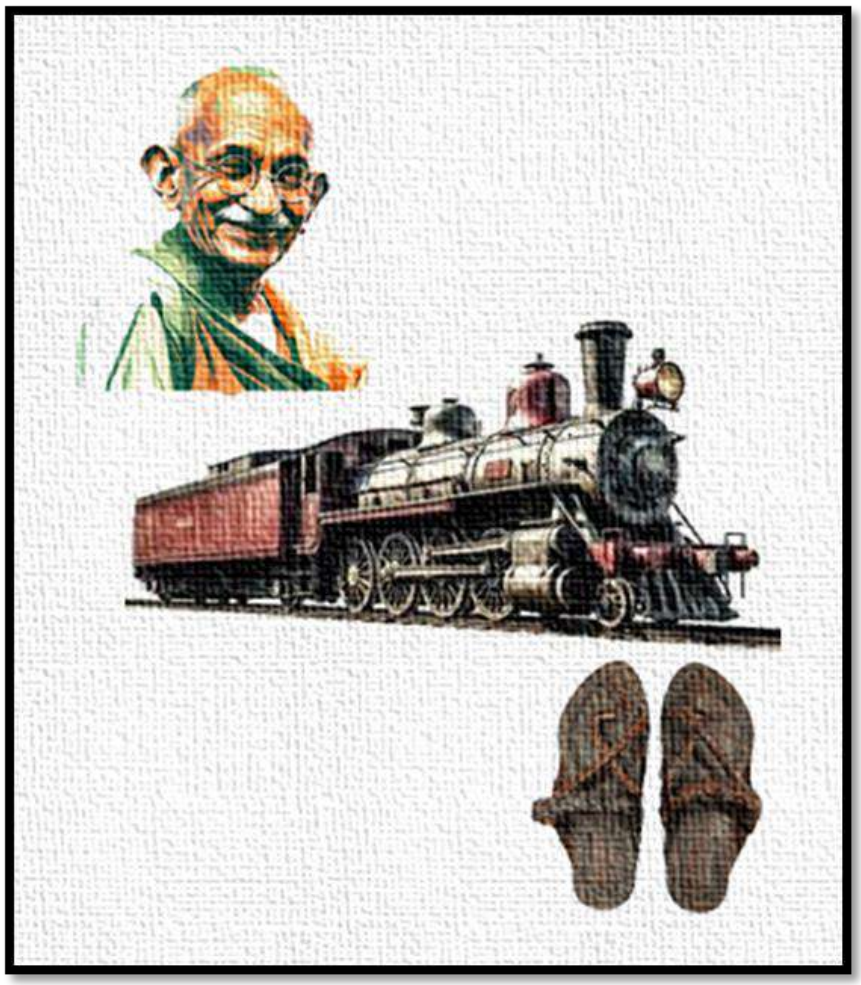

و هذا صحيح في الجهتين ، أي في حال كان الموقف البسيط إيجابي أو سلبي .. فربما قال من يدعي صداقتك

و محبتك جملة واحدة بسيطة كشفت لك عن درجة كبيرة من الحسد و الحقد في أعماقه تجاهك ، مما يمكنك من اتخاذ القرار بالابتعاد عنه في التوقيت المناسب و حماية نفسك من مكائده و شره لأن الطعنات التي تأتيك من القريب لا تكون مؤلمة فحسب ، بل و قاتلة في كثير من الحالات ..

❁ لكل شيء ثمن .. و ذلك لغاية :

فونانتا دي تريفي أو نافورة الأماني ، معلم شهير في مدينة روما يلقي فيه السياح النقود و يتمنون أمنية علّها تتحقق .. و في الحقيقة هي غالباً ستتحقق .. لماذا ؟! لأن الموضوع برمته قائم على العلاقة بين الوعي و اللاوعي .. فعندما تدفع ثمن أمنيتك سيشعر لاوعيك بأنها أصبحت من حقك و بأنها ستتحقق لا محالة ، لذا سيقوم وعيك بجذب كل العوامل التي تجعلها تتحقق بالفعل ، فتعمل بتفاؤل و ثقة و هدوء و تقتنص الفرص في كل مكان ، و عندما تسعى لتحقيق أمنيتك بهذه الطريقة فإنها ستلاقيك إلى منتصف الطريق تماماً كما قال شيخ المتصوفين **جلال الدين الرومي** :

(اعلم بأنّ ما أنت ساعٍ إليه هو ساعٍ إليك)

لا سيما إن علمنا بأن الناس يعرفون بأن الأموال التي تلقى في تلك النافورة تجمع لأعمال الخير و تقدر

بالملايين سنوياً .. أي أن الإنسان يشعر بأنّ ماله سيحقق أمانٍ للآخرين أيضاً و بالتالي فأمنيته ستتحقق بدورها كنوع من الكارما الأخلاقية في حلقة مفرغة إيجابية من المساعدة ، و على كل حال نافورة الأماني هذه ليست خرافة بكل تأكيد ، فبالحد الأدنى إن لم تحقق النقود التي ترمى فيها أحلام من رماها ، فإنها ستحقق أحلاماً للفقراء و المحتاجين الذين ستجمع النقود لمساعدتهم !!

❁ الديمقراطية المؤطرة :

يقال في التراث العالمي :

(الديمقراطية هي أن تختار من سيأكلك)

و في الحقيقة هذا صحيح للغاية على أرض الواقع ، فنجد حول العالم أن الشعوب يتم تأطير خياراتها بين خيارين و تمنح حرية اختيار أحدهما كي يحكمها ، لكن ماذا لو أن الخيارين سيئان ، أين الديمقراطية في هذه الحالة ؟ **فالديمقراطية الحقيقية هي حرية اختيار أي جهة تريد بشكل مطلق كي تحكمك** ، و متى حددت الخيارات انتهت الديمقراطية .. و بالتالي **ليست كل عملية انتخابية هي ديمقراطية** .. لذا عليك عزيزي القارئ أن ترفض وضع خيارات أمامك كي تنتقي منها و ذلك ليس في السياسة فحسب ، بل في أي جانب من جوانب الحياة ، و تمسك بحقك في البحث عن الخيار المناسب لك و لمصلحتك العليا و إن كان خارج الخيارات المطروحة بالأساس كي لا تكون كالحمل الذي منح حرية اختيار أي من الذئبين سيأكله ..

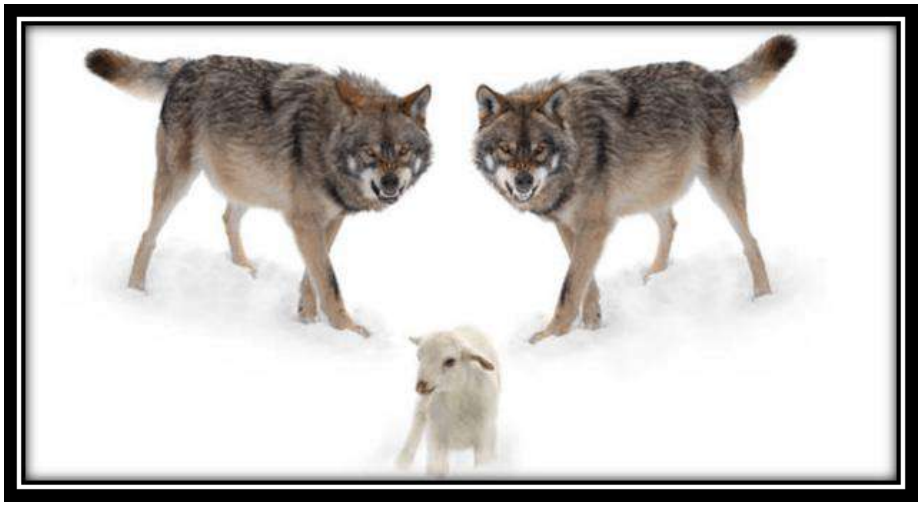

❁ الشعور بالذنب رحم الإبداع :

كثيراً ما يكون الشعور بالذنب تجاه فعل خاطئ حافزاً

للإنسان على القيام بأفعال عظيمة كنوع من التطهير النفسي له و التكفير عن ذنبه ذاك .. و لعل أشهر مثال على ذلك هو **جائزة نوبل** الشهيرة التي ابتكرها العالم السويدي **ألفريد نوبل** عام **1895** كتكفير عن خطئه باختراع الديناميت الذي أودى بحياة مئات الآلاف في الحروب رغم أن للديناميت استخدامات إيجابية حميدة كثيرة كحفر المناجم و الأنفاق و هدم المباني المتهالكة و غيرها .. لكنه لم يغفر لنفسه اختراعه لأداة استخدمها البعض لقتل البشر بشكل أوسع ، لتصبح جائزته هذه دعوة للعلم و السلام و الإبداع حول العالم و تكريم المبدعين مادياً و معنوياً أينما وجدوا..

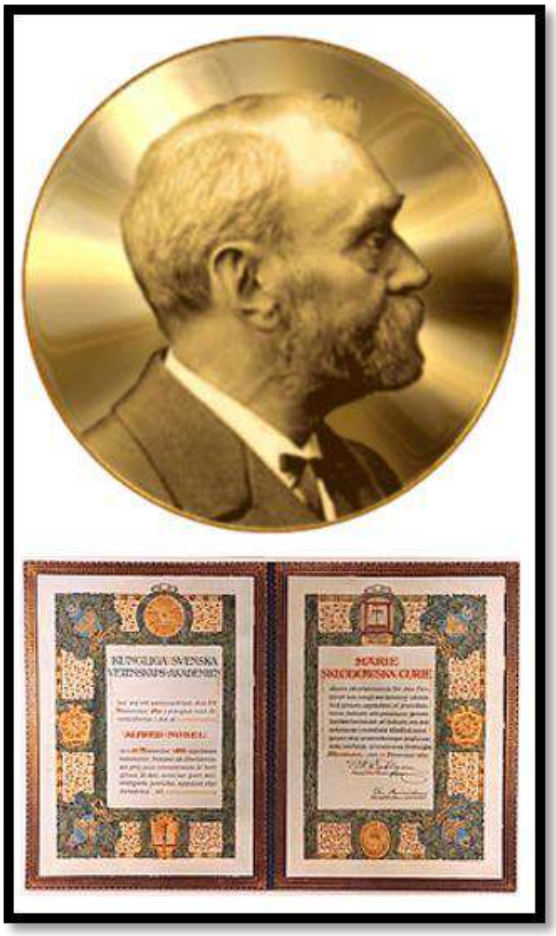

❁ الهوس بالانتصار شرّ هزيمة :

فلم الركمجة **SURF'S UP** من أفلام الأنيميشن الأيقونية في تاريخ السينما ، فهو يجمع بين القصة الجميلة و الصورة المتقنة و الحبكة الإبداعية ..

كما أنه مفعم بالحكم و العبر ، و لعلّ أجملها أن الهوس بالانتصار يحول المنتصر إلى أكبر مهزوم في التاريخ ، بل إن المهووس بالانتصارات هو عادة شخص نرجسي لا يرى سوى نفسه على القمة و يحاول تحطيم كل من حوله كي ينفرد عليها .. لكن الأيام الدوّارة ستشيح بوجهها عنه و تعامله كما يستحق ليذهب هو و هوسه بالانتصار هباءً منثوراً ، ليبقى الانتصار الوحيد

ليس الجوائز و الأرقام و احتكار الصدارة ، بل الإمساك بأيدي بعضنا البعض كي نصل القمة و ننتصر سوياً ، لذا فهنالك توجهان أساسيان في الحياة :

- الحياة رواية كل شخصياتها أبطال ، و هذا ما تروج له شخصية **زي** في الفلم ..
- الحياة رواية فيها بطل وحيد و الباقي كومبارس لتمجيده و الانصياع لأوامره و هذا ما تروّج له شخصية **تانك** المهووس بالانتصارات ..

و هنالك حكمة أخرى يجسدها الفلم و يفهمها فقط من تابعه و هي تتقاطع مع مثل صيني معبّر للغاية يقول:

(إذا رأيتَ للأقزام ظلاً طويلاً فاعلم أن الشمس في طريقها للمغيب)

❁ لا تلق ماء الورد في البحر :

يقول المثل البولندي :

(فعل المعروف مع من لا يستحق كمن يلقي ماء الورد في البحر)

و هذا كلام واقعي تماماً ، فأنت إن ساعدت من يستحق المساعدة و المعروف قابل ذلك بالامتنان و العون ، أما إن ساعدت ذئباً غداراً فلا تتوقع منه سوى الجحود و

الأذى .. كما يقول بيت الشعر الأيقوني :

إن أنت أكرمت الكريم ملكته

و إن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

لذا احذر عزيزي القارئ أين تصبّ ماء وردك ، في قارورة ستذكر ذلك للأبد و تردّ عليك بأزكى العطور أم في البحر المالح حيث يتبدد ماء الورد و يضيع ..

❁ التشاؤم يولد في داخلك و لا يأتي من الخارج :

كثير من البشر تنتابهم عاصفة من التشاؤم عندما يشاهدون قطة سوداء أو غراباً أو مظلة مفتوحة داخل

المنزل أو إذا مروا أسفل سلم أو صادفهم الرقم **13** أو انكسرت المرآة أمامهم و غيرها من العلامات التي ربطها البشر عبر العصور بالتشاؤم .. لكن في الحقيقة هذا كله مجرد هراء لا أساس له من الصحة ، و ما يحدث على أرض الواقع هو **تطبيق حرفي لقانون الجذب** ، فأنت عندما تقتنع بأنك متشائم و بأن الأمور السيئة ستصيبك ، فإنك تجذب كل ما هو سلبي إلى حياتك فتجعل تشاؤمك واقعاً ، و بالتالي فالتشاؤم و الأذى يبدأ من داخلك و ليس تأثيراً للخارج عليك ، لذا عليك ضخ كل ما هو إيجابي و مفائل إلى عقلك كي يجذب بدوره كل ما هو جميل إلى حياتك ..

❁ لا تعامل الآخرين بمقياس ثابت :

لكل إنسان شخصيته الفريدة و قناعاته الخاصة ، و هذا يفترض عليك انتقاء الطريقة المناسبة للتعامل مع كل شخص بحسب تكوينه .. أما تعاملك مع الجميع بطريقة ثابتة فهذه كارثة ستنتهي بخسارتك لكل من حولك .. من جهة ثانية فإن الإنسان نفسه يتغير من عام لآخر ، و طريقة تعاملك معه اليوم يجب أن تختلف عما كانت عليه منذ عشر سنوات مثلاً ، كما يقول الأديب الإيرلندي **برنارد شو** :

(الشخص الوحيد الذي أعرفه و يتصرف بتعقل هو الخياط، فهو يأخذ مقاساتي في كل مرة يراني فيها.. أما الأخرون فهم يستخدمون مقاييسي القديمة و يتوقعون مني أن أُناسبها)

لذا فصّل لكل إنسان ثوب المعاملة الذي يلائم مقاسه فإن عجزت عن معرفة مقاسه الدقيق اكتفِ بثوب الرسمية و التهذيب تجنباً لمشاكل أنت في غنى عنها ..

❁ الفرص لا تأتي مرتين :

يقول المثل اللاتيني :

(الوقت كالنهر لا يمكن أن تلمسه مرتين)

عندما تمنحك الحياة فرصاً استثنائية اغتنمها ، لأنها إن ذهبت لن تعود ..فالزمن كتيار النهر يجري من غير عودة .. و إن أنت فوت ميعاد طائرتك فاتتك الرحلة .. لذا لا تؤجل الفرص حتى من باب التدقيق و التقصي العميق ، فالتاريخ من هذه الزاوية لا يرحم .. فإما الآن أو فات الأوان .. و بين الانتصار و الانكسار خيط رفيع فلا تقطعه باللامبالاة أو الطمع بفرص أكبر تمنحك مكاسب أكثر ..

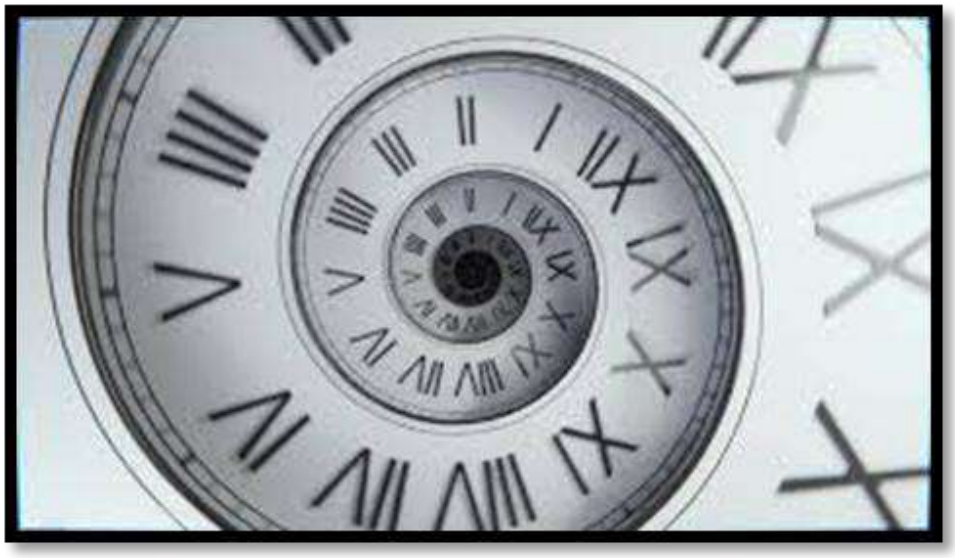

❁ النار الإغريقية :

يقول الفيلسوف الألماني **فريدريك نيتشه** :

(ما لا يقتلني يجعلني أقوى)

الحياة سلسلة من الابتلاءات و خيبات الأمل و طعنات الغدر ، فإن أنت استكنت لهذا الواقع و أغرقك باليأس فلقد انتهيت و مت و أنت حي .. لذا اجعل فلسفتك في الحياة أن الحياة دورات من نهار و ليل .. يسر و عسر .. و أن عليك أن تستيقظ بعد كل ليل طويل كالفجر و تشرق من جديد .. تماماً كأسطورة طائر الفينيق الذي ينهض من أنقاض الرماد .. و مع كل خيبة أمل لا تكسرك يشتد عودك أكثر و تصبح أكثر صلابة .. كم النار الإغريقية تتأجج كلما حاول الآخرون إطفاءها بالماء .. لذا أتم نورك مهما كثرت من حولك محاولات إطفائه ..

❁ الأفضل لك ألا تعرف :

في العلوم توجد معضلة جميلة تدعى **معضلة المتاهة** ، و التي تقول بأن امتلاك الإنسان القابع في متاهة لخريطة للمتاهة يجعل الخروج منها أصعب .. و الحقيقة أن كل إنسان يعيش في متاهة كبيرة هي الحياة ، و التي يخرج منها بالنهاية عندما تنتهي حياته ، و لو تمكن الإنسان من معرفة هذه الحياة بدقة و كيف تسير أموره فيها لأصبحت حياته أصعب بكثير و لتوقف عند كل لحظة أو موقف طويلاً و بالغ في ردة فعله تجاه كل مشكلة أو حتى كل نعمة .. أما سير الحياة وفق ما هو شائع فيجعل الخروج منها أسهل بكثير على تعقيده ..

❁ السم في العسل :

كثير من الأفلام تحمل أهداف سامية و تروج للفضيلة و الأخلاق .. لكن بعضها يتبع فلسفة أخرى خبيثة ، هي

فلسفة دس السم في العسل .. بحيث تمرر بعض الأفكار السامة أو السوداوية عبر أحداث الفلم الملونة و الحميدة ، و من هذه الأفلام يأتينا الفلم الشهير **V FOR VENDETTA** ، فكثير من الذين شاهدوه مقتنعون بأنه فلم يروج لإصلاح المجتمعات ، و بالفعل الفلم ينطوي على كثير من هذا ، خصوصاً بدايته التي تحدثت عن واقعة حقيقية و هي محاصرة الثائر **جاي فوكس** ثم قتله .. لكن عبر أحداث الفلم يتم تمرير أجندات أخرى خطيرة للغاية ، فإن أنت أمعنت النظر عزيزي القارئ فستكتشف أن شخصية **V** في الفلم هي تجسيد للشيطان أو إبليس أو لوسيفر .. فإن كان بطل الفلم الآخر هو القائد السياسي المدعو **آدم** و الذي يحمل الخطيئة و الأخلاق معاً في شخصيته كتجسيد لفكرة الإنسان و أن جميع البشر خطاؤون .. فإن شخصية **V** التي تعاديه خلقت من نار كما يظهر في الفلم تماماً كإبليس الذي رفض السجود لآدم لهذا السبب ..

بل تظهر هذه الفكرة بشكل أوضح في مشهد تساقط

أحجار الدومينو التي تسجد جميعها إلا حجرة **V** التي ترفض السجود .. ثم يأتينا اسم **V** الذي يشير إلى الرقم **5** و هو نجمة الشيطان الحمراء .. كما أن الألوان التي يستخدمها هي الأسود و الأحمر تماماً كعبدة الشيطان و كما يصور الشيطان بالضبط ..

و في نهاية الفلم ينتصر **V** و ينهزم آدم كما وعد الشيطان الله في معركته مع آدم و سلالته .. و خلاصة الكلام ، أن هذا الفلم ككثير غيره فيه رسائل سامية لكنه أيضاً يمرر سموم في الدسم دون أن يشعر المشاهد ، لذا عليك الحذر عزيزي القارئ ..

❁ وجوه القيامة :

جزيرة الفصح التابعة لدولة تشيلي أو ما يعرف **بجزيرة القيامة** تحتوي عشرات التماثيل لوجوه حجرية ..

و هذه الجزيرة تتقاطع على نحو جميل مع القرآن الكريم في **سورة القيامة** عندما يقول البارئ :

(وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة * و وجوهٌ يومئذٍ باسرة تظنّ أن يفعل بها فاقرة)

فالقيامة و **الوجوه** متكررة في الجزيرة و السورة على نحو يثير الدهشة و الأسئلة .. فهل جسد الله على هذه الجزيرة مشهداً مبسطاً عن مسرح يوم القيامة عندما يحشر البشر بين أيدي الله .. ؟!

إن تسمية هذه الجزيرة يعود لأنها اكتشفت في عيد الفصح عند المسيحيين أو عيد قيامة يسوع المسيح من الموت لتشرق شمسه من جديد بوجه ناضر ، منتصر و مفعم بالحياة ..

❁ كون الأضداد :

لكل شيء في هذا الكون شيء مضاد له، أول من نادى بذلك هو الفيلسوف **أمبادوقليس** قبل الميلاد بحوالي خمسمئة عام، هذا الفيلسوف سبق سقراط وغيره من الحكماء الذين اعتدنا سماع أسمائهم يومياً.. و هذه

النظرية أثبتها العلم الحديث اليوم من أصغر الجزيئات كالالكترون و مضاده البوزيترون انتهاءً بالمادة و المادة المظلمة .. و هذه النظرية العلمية تنسحب على الجانب المعنوي من الحياة .. فالخير يقابله الشر و النهار الليل و اليسر العسر و الوفاء الخيانة و هكذا .. و للأسف المجتمع لم يكن جاهزاً للإيمان بأفكار أمبادوقليس فظل يحاربه و يضيق عليه الخناق حتى بلغ منه اليأس أشده فألقى أمبادوقليس بنفسه في فوهة بركان إتنا في إيطاليا، نفسه البركان المسمى بجبل النار.. وتقول الأساطير أن هذا البركان أضحى من أعتى وأنشط البراكين في العالم مذ لمّ جسد الفيلسوف .. و اليوم بعد قرون تنتصر أفكاره و تثور كالبركان و تفور كالتنور بنيران الحقيقة ليظهر الحق في وجه مضاده الباطل و ينتصر عليه ..

❁ الإرادة الفولاذية :

هنالك في الطب متلازمة تدعى (**المحبوس**) ، حيث يصاب الإنسان بشلل تام في جسده عدا الحركة

العامودية لعينيه ، و لعل أشهر مصاب بهذه المتلازمة هو الصحفي الأربعيني **جون دومينيك بوبي** والذي استيقظ بعد إصابته بجلطة دماغية، ليجد نفسه مصاباً بذات المتلازمة ، في حالة شلل رباعي وشلل شامل لكل عضلاته الإرادية عدا عضلات العين اليسرى.. لكن كان للصحفي جون زوجة بجيش كامل، جلست إلى جانبه في المستشفى وساعدته على كتابة رواية، برفات عينه اليسرى، عشرة أشهر وآلاف رفات العين، فكانت الرواية الرائعة :

(**جرس الغوص والفراشة**)

مات جون دومينيك بوبي بعد ثلاث سنوات من تقليب زوجته المستمر لجسده، كي لا تأكله التقرحات .. مات بعد نجاح روايته المكتوبة برمش العين، فكلام الإرادة كما كلام القلوب لا يموت ، ليعلم البشرية جمعاء درساً بليغاً بأن الإنسان إن شاء لا يثنيه شيء في الكون عن تحقيق أحلامه ..

❁ القرين روحك التي لا تراها :

يقال أن لكل إنسان قرين يرافقه في حياته ، و لعل هذه الفكرة ليست خرافة بالمطلق .. فعندما ينظر الإنسان في المرآة يجد صورة له ، لكنه إن رفع يده اليمنى سترفع صورته فيها يدها اليسرى و كأن قرينه بالفعل لا يظهر إلا في المرآة .. و لعلنا عندما نفكر بيننا و بين أنفسنا فنسأل الأسئلة و نجيب عليها ، ما نحن نعيش إلا بمونولوج داخلي مع قريننا !!

❁ في داخلك إله نائم :

في الطب توجد متلازمة تدعى **متلازمة سافانت** و فيها يتحول الإنسان عند تعرضه لرض على الرأس أو أي

أذية دماغية أخرى من شخص عادي في مجال معين إلى نابغة في هذا المجال .. فكيف حدث ذلك ؟

إن هذه المتلازمة تثبت بالدليل القاطع أن الدماغ في حالته الطبيعية قادر على كل شيء ، لكنه بحاجة فقط لضغطة زر كي يتفعل !! و هكذا أنت يا صديقي .. كائن جبار قادر على اجتراح المعجزات لكن طاقاتك الكامنة لن تظهر إلا عندما تتعرض لضغط شديد و ابتلاء من الحياة ..!!

❁ لا تجزع من جرحك :

الفرح لوحده لا يبني الصورة الفريدة من الإنسان التي

تستحق الحياة في الكون الأكبر بعد الموت ، فالألم هو الإزميل الذي ينحت به الله فيك هذه الصورة ، فإن كانت الأخلاق هي غاية الخلق كما ذكرنا في مغالطة سابقة ، فإن الألم من أكثر المشاعر التي تنبثق عنها الأخلاق ، فعندما تجرب الألم بكل أشكاله (فراق ، فشل ، غدر ، حاجة ، مرض ...) فإن إنساناً جديداً سيولد في أعماقك ، إنسان يشعر بالآخرين و بآلامهم ، و لا يريد أن يعانوا هم مما عانى منه هو ، أي يولد في قلبك **التعاطف** و هو أب المشاعر الإنسانية الإيجابية ، و هو نقيض **الأنانية** البغيضة هادمة السعادة و المدخل إلى كل المشاعر السلبية الأخرى .. لذا نجد شيخ المتصوفين **جلال الدين الرومي** يقول :

(لا تجزع من جرحك ، و إلا كيف للنور الإلهي أن يصل إلى أعماقك و قلبك)

❁ أول 5 سنوات هي كل شيء :

إذا هاجمتك قطة بشراسة فكل ما عليك فعله هو أن تمسكها من رقبتها من الخلف فسترى أنها ستستكين بين يديك تماماً ، لماذا ؟ في الحقيقة هذا السلوك يعود إلى طفولتها الأولى عندما كانت أمها تمسكها بفمها من رقبتها لتنقلها من مكان لآخر فتستكين لها بإقرار منها بضعفها .. و فعلك أنت لذلك يوقظ في أعماقها هذه الذكريات فتعود إلى فطرتها الأولى الخاضعة و الضعيفة ..

و في الواقع هذه النظرية تنطبق على الإنسان تماماً ، فالطريقة التي تم التعامل بها مع الطفل في أول **5** سنوات من حياته هي كل القصة .. و أي تجربة في حياته اللاحقة تتشابه مع ذكرياته في تلك السنوات

الأولى ستجعله يرتكس لها بطريقة معينة و قد تكون غريبة و مستهجنة لمن حوله ، لكن جذورها الأساسية تعود لسنوات طويلة خلت .. لذا على الآباء أن ينتبهوا لطريقة تعاملهم مع أبنائهم في هذه الفترة الحساسة و المصيرية من حياتهم لأنها ستصبغ سلوكهم لاحقاً..

❁ لله ألطاف خفية :

فلم (**سلام دوج مليونير**) هو أحد الأفلام الأيقونية في تاريخ السينما ، و لعلّ أجمل ما في هذا الفلم أن قصته تتحدث عن طريقة السماء العبقرية في حياكة الأحداث بشكل لا يتوقعه أو يستوعبه عقل الإنسان ، ففي أحداث الفلم يتعرض البطل الشاب لسلسلة من الأحداث الأليمة و الصعبة في طفولته ، ليتبين له في نهاية الفلم أن هذه الأحداث كانت إجابات عن أسئلة ستمكنه من ربح المليون في برنامج مسابقات تلفزيوني ، كما أنها ستمكنه من العثور على الفتاة التي أحبها ، لتكون النتيجة النهائية لمغامراته الشاقة (الحب & الثراء) بعد طفولة صعبة معجونة بالآلام و الفراق و الفقر .. و في قصة النبي موسى مع الخضر أمثلة أخرى عن طريقة السماء الغريبة في تسيير الأحداث لكن بغايات نبيلة بالمحصلة فيها خير الفرد و الجماعة .. فأي مشكلة تتعرض لها في حياتك تأكد أنها إما منجاة لك من شرّ أكبر سيدمرك تماماً أو ربما يقتلك ، أو إجبارك على

سلوك طريق آخر في نهايته خير لا يوصف لك .. كما يقول الفيلسوف الهندي **أوشو** :

(تقبّل مشكلتك كهدية من الله)

❁ نخبة النخبة :

في الطبيعة ظواهر كثيرة تتشابه مع حياة البشر على نحو غريب ، و من هذه الظواهر المدهشة ، بيوض السلاحف البحرية .. فأثنى السلحفاة تضع عدداً كبيراً من البيض في حفرة في رمال الشاطئ و تردمها ثم تغادر إلى المحيط ، لكن قسماً كبيراً منها يفسد ، و قسم

آخر تتغذى عليه حيوانات أخرى ، و حتى القسم الذي يفقس عليه أن يشق طريقه نحو البحر بنفسه و قسم كبير منه تفترسه السلطعونات على الشاطئ ..

و القسم المتبقي الذي سينجو سيكمل رحلته نحو أعماق المحيط لتفترسه كائنات بحرية متنوعة .. فلا يصل إلى خط النهاية سوى نخبة النخبة من صغار السلاحف ، سواء من حيث (القوة أو الحظ)..

و هذا ما ينطبق على رحلة الإنسان في الدنيا نحو الآخرة التي يصفها البارئ في الذكر الحكيم بقوله :

(و لا يلقاها إلا الذين صبروا * و لا يلقاها إلا كل ذي حظّ عظيم)

فاجعل من أعمالك و أخلاقك طوف عبور و طوق نجاة لك في هذه الرحلة العسيرة التي تشبه رحلة السلاحف

البحرية التي ذكرناها لتكون قوياً و محظوظاً ببلوغ جنان البارئ ..

❁ لا تنصب المكائد لأخيك :

من أروع المسلسلات الكوميدية في الأرشيف العربي هو مسلسل (**ضيعة ضايعة**) .. و ذلك بسبب كثرة الكنايات و الدروس و العبر فيه في قالب كوميدي محبب للقلوب ، و لعلّ أكثر فكرة يروّج لها هذا المسلسل هي المثل الشعبي الشهير :

(من حفر حفرة لأخيه وقع فيها)

لذا نجد شخصية جودي الماكرة و الحسودة تكيد لشخصية أسعد باستمرار لكنه يدفع الثمن في النهاية و يقع في الحفر التي يحفرها لصديقه لينال الجزاء بحسب نواياه العاطلة باستمرار .. و هذه في الحقيقة هي فلسفة السماء في التعامل مع البشر ، فكل ساقٍ سيسقى مما سقى و طباخ السم سيذوق منه بلا شك .. لذا اجعل نواياك تجاه الآخرين بريئة و صافية كي لا تقع في شرّ نواياك و أعمالك ..

❁ قوّة الوهم :

ربما سمع كثير منا قصة الشخص الذي شرب كأساً من النبيذ فمازحه صديقه أن النبيذ مسموم ، ليسقط ميتاً على الفور ..

و في هذا مؤشر على قوة تأثير الوهم على الإنسان و الذي قد يصل به إلى درجة الموت وهماً .. و لقد لخّص شاعر العصور الوسطى الإنجليزي **جيفري تشوسر** ذلك بمقولته الشهيرة :

((يا لقوة الوهم ! الناس سريعو التأثر لدرجة أنهم قد يلقون حتفهم من مجرد خيال))

و الوهم من أكثر الأمور التي تدمر حياة الإنسان ، إذ تقضي على طمأنينته و تجعله في حالة شك و بارانويا من كل شيء أو شخص من حوله .. لذا الأفضل في الحقيقة أن يصفي الإنسان نيته و يحاول رؤية الأمور بطريقة إيجابية و **يعتبر كل شيء من حوله بريئاً حتى تثبت إدانته و ليس العكس** ، فذلك راحة نفسية له بالمقام الأول ، و اجتناب لظلم الآخرين بالمقام الثاني ..

❁ أنت بذرة بداخلها شجرة باسقة :

كثير من الناس يعتقد بأنه شخص بلا قيمة في هذه الحياة و بأنه مجرّد من أي موهبة أو إمكانيات ، فيبخس نفسه التي كرمها الله حقها ، و في الواقع كل إنسان يحمل في أعماقه هبات و إمكانيات عظيمة بحاجة فقط إلى الموقف الصحيح أو الفرصة المناسبة أو التدريب المكثف كي تتفجر إبداعاً و إنتاجية ، فالإنسان أشبه ما

يكون بالبذرة ، مخلوق صغير بلا قيمة تذكر ، لكنها نفسها ستصبح شجرة باسقة في الظروف المناسبة ، لذا لا تنخدع بإمكانياتك المتواضعة الآن ، ففي أعماقك إمكانيات مذهلة ستتفجر في الوقت المناسب ذات يوم ، فالله لم يخلقك جزافاً بل وضع فيك سرّاً كبيراً من اسراره ستكتشفه بنفسك مع قادم الأيام ..

❁ التجارب تظهر معدن الأصدقاء :

يقول المثل الياباني :

(كن حذراً ممن تثق به ، فالملح و السكّر متشابهان)

فكل الناس تبتسم في وجهك ، لكن كثيراً منهم ذئاب بثوب الحملان .. و رغم ذلك فهذا الثوب التنكري أو

الأقنعة المزيفة سرعان ما تتساقط مع التجارب المتلاحقة ليظهر المعدن الحقيقي لهؤلاء ،هل هو ذهب لا يصدأ ، أم حديد صدئ متآكل .. و كما أن الغوّاص عليه أن يغوص إلى الأعماق كي يستخرج اللؤلؤ الثمين ، على الإنسان أن يسبر أغوار الشخص أمامه كي يرى هل من درّ مكنون فيها ، أم مجرد أسماك متوحشة كحال **الشيطان الأسود** الذي يسكن أعماق المحيطات و يخدع الأسماك الأخرى بالنور كي يجذبها إليه ثم يلتهمها .. و كما يقال لا يمكنك معرفة جودة البطيخة حتى تفتحها ، فمن الخارج الكل متشابه يغريك منظره و يدعي المثالية و الوفاء ..

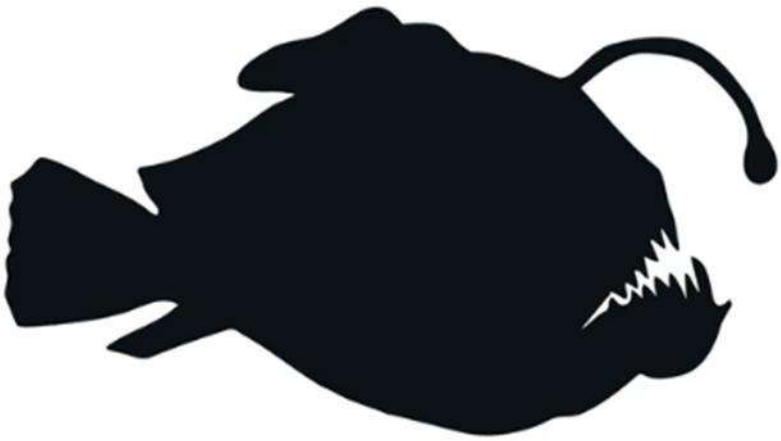

❁ أريد أن أنتقم :

كثير منا يتعرّض للظلم في حياته ، و أحياناً يكون ظلماً شديد الوطأة سواء من حيث الشخص الذي ظلمك أو من حيث حساسية الظلم الذي يطال أموراً مصيرية في الحياة كالحياة نفسها أو العرض أو الحقوق .. و كل ذلك

يشعل في صدر المظلوم بركاناً متفجراً من الحقد و الرغبة بالانتقام سواء لاسترجاع مظلوميته أو على أقل تقدير لخلق توازن نفسي لا غنى عنه في داخله .. لكن في الحقيقة يا صديقي القارئ أن الإيمان بعدل السماء يوفر عليك كل هذه المشاعر .. فالسماء فنانة في تصفية الحسابات و رد الدين .. و ما قد يجول في نفسك من سيناريوهات انتقامية متنوعة ، تنفذه الحياة بشكل أمثل و بأيسر الطرق و من حيث لا يحتسب الظالم و المظلوم معاً ..

لذا دع مظلوميتك للسماء دائماً و راقب بنفسك كيف ستدهشك الحياة في رد الظلم و عقاب الظالم .. أما بالنسبة للتوازن النفسي فيكفيك شرفاً و راحة بال أنك

مظلوم و أنك لم تظلم غيرك ، بل كنت مشهوراً بالعطاء و الإحسان و ربما منحت الكثير بدون مقابل ، فهل هنالك من رضا و طمأنينة أكثر من ذلك ؟! و كما يقول الفيلسوف **كونفوشيوس** :

(الشخص الحكيم لا يسعى للانتقام أبداً ، لأن الحياة ستتعامل مع مظلوميته بشكل أفضل منه)

و في تجربة شخصية حدثت مع أحد أصدقائي ، فقد تعرض لظلم كبير جداً من شخص تفضل عليه صديقي بالكثير ، فكان رد ذلك الشخص تهديده بالقتل بشكل مستمر إن لم يتنازل له عن بيته ، بل كان يتمنى أن يراه ميتاً أمامه و خطط بالفعل لقتل صديقي في مناسبات كثيرة .. و كان رد صديقي دائماً (**اللهم اجعلنا من المظلومين و ليس من الظالمين**) ، و لم تمضِ فترة طويلة حتى قتل ذلك الشخص في حادث سير في غفلة لم يكن يتوقعها ، في حين عاش صديقي و بقي حياً على خلاف أحلام و أمنيات ذلك الشخص ، و استمر صديقي بفعل الخير للآخرين بدون حساب أو رد معروف كما عهدته ..

❁ قارن نفسك مع نفسك فقط :

أغلب الناس يميلون لمقارنة أنفسهم بالآخرين سواء من هم أقل نجاحاً منهم فيشعرون بالغرور و الفوقية عليهم

مما يمنعهم من متابعة الإنتاج و النجاح و الاكتفاء بما وصلوا إليه ، أو من هم أكثر نجاحاً منهم فيشعرون بالحسد و الدونية و الإحباط مما يجعلهم يستسلمون و يعتكفون عن الإنجاز و المحاولة .. في الحقيقة الأمر الصائب الوحيد الذي عليك فعله هو **مقارنة نفسك اليوم بما كنت عليه بالأمس** بحيث تصبح كل يوم أفضل من نسخة اليوم الذي قبله ، فلا منافس لك في الحياة سوى نفسك ..

و من العيب و الخطأ و الإجحاف بحق نفسك أن تقارنها بالآخرين فظروفك غير ظروفهم و ربما ما تنجزه أنت أفضل بكثير من إنجازهم إذا أخذت الظروف بعين

الاعتبار ، و العكس صحيح .. لذا اجعل هدفك أن تتفوق على نفسك فقط لا غير .. و شجع الآخرين على العمل و النجاح و استفد من تجارب الجميع بدون استثناء صغاراً كانوا أم كباراً .. لتبقى المقارنة الوحيدة الصحيحة هي مقارنة نفسك اليوم بما كنت عليه بالأمس

❁ لنفسك عليك حقّ :

يقول الطبيب و الكاتب الأمريكي **أوليفر هولمز** :

(لا يتوقف الناس عن اللعب لأنهم كبروا ، بل يكبرون لأنهم توقفوا عن اللعب)

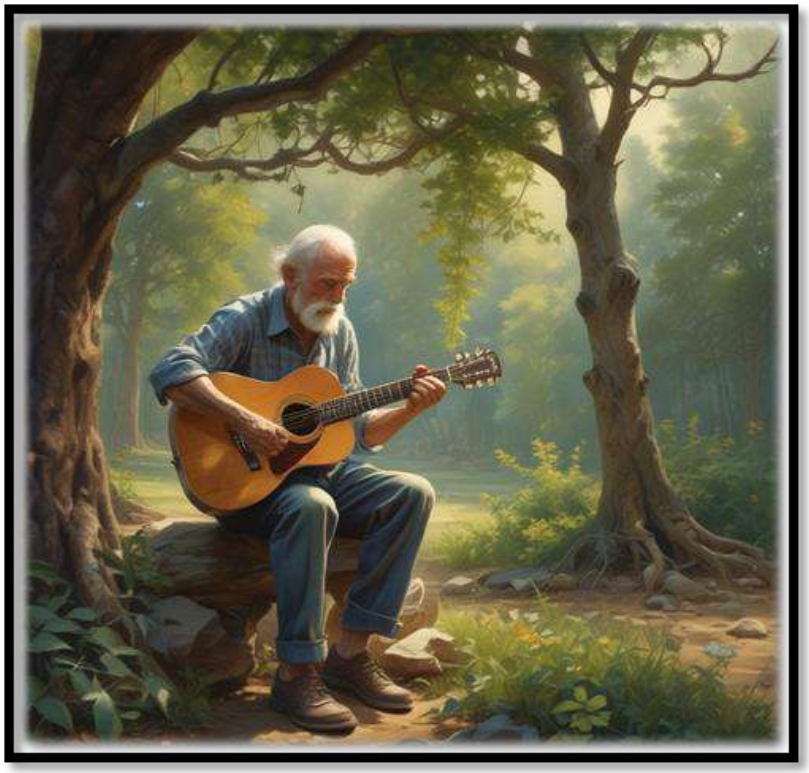

و هذه من أجمل المقولات في الأرشيف العالمي .. فلنفس الإنسان حق عليه ، و عليه بين الفينة و الأخرى

أن يرفه عن نفسه بممارسة الهوايات أو تجربة وسائل الترفيه المختلفة كي تبقى معنوياته مرتفعة و نفسيته مستقرة و إيجابية ، فالتفكير الزائد و العمل المستمر بدون توقف يسبب جفاف النفس و تصحّرها ، و هذا ما ينعكس على أفعاله و كلامه لاحقاً بقسوة و ضيق صدر في التعامل مع الآخرين و في نظرته إلى الحياة على حدّ سواء .. لذا كي تحافظ على شبابك يا صديقي عليك بالترويح عن نفسك بين الفينة و الأخرى بما يحقق سعادتك أنت بالذات ..

❁ احذروا التكنولوجيا :

إن كان الذكاء الاصطناعي يهدد البشرية كما ينذر البعض اليوم ، فإن التكنولوجيا المتطورة لا تقل خطورة عنه ، و لعل أحد أجمل الأفلام التي تطرق إلى هذه الفكرة هو فلم الأنيمشن وولي (**Wall.e**) ..

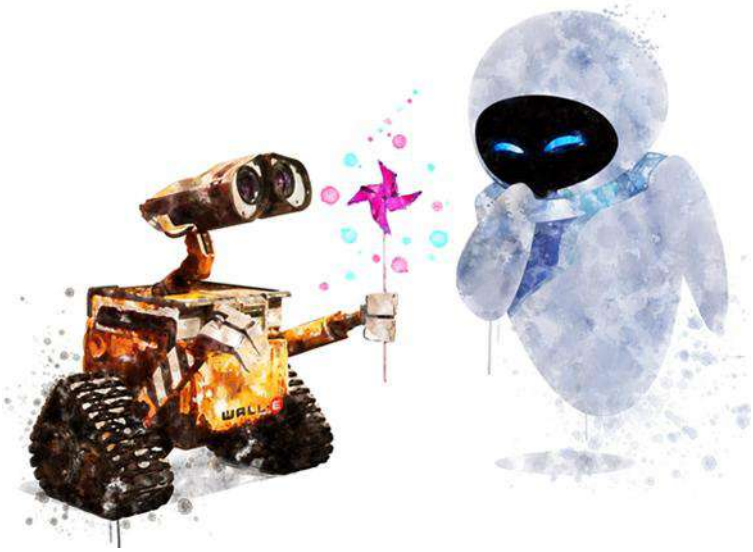

الذي يريك عبر السهل الممتنع مصير البشر في

المستقبل عندما تحل التكنولوجيا مكانهم و تخدمهم في الحياة اليومية ، و كيف سيؤثر ذلك على صحتهم الجسدية و العقلية و الروحية و النفسية ..

و الحكمة هنا ببساطة ، أن كل شيء في الحياة كسكين المطبخ ، ممكن أن تستخدمها للقتل و ممكن أن تستخدمها للطهي ، فالإنسان هو من يضفي على الأدوات قيمتها و مغزاها .. و التكنولوجيا المتطورة - إن أسأنا استخدامها - ستقتلنا حرفيا في ذات يوم ..

❁ إنّ الإنسان بلا ألمٍ ذكرى إنسان :

يتذمر الناس عموماً من الألم ، و يحلمون بيوم يعيشون فيه دون أن يتألموا و يخالون الحياة ستكون ساعتها أجمل بكثير.. لكن في الحقيقة الألم هو أكبر صديق للإنسان ، إنه **الحارس الشخصي** الذي يمنع أي خطر يهدد حياتك قبل أن يفتك بك ، لأنه ببساطة يلفت انتباهك أن ثمة أمر غير طبيعي يصيب جسدك و عليك تداركه.

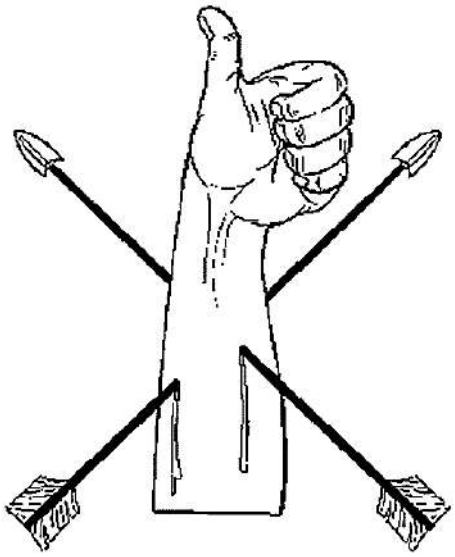

في الطب هنالك متلازمة شهيرة تسمى **متلازمة فقدان الإحساس بالألم** ، و على خلاف ما قد يعتقده البعض أن هذه نعمة عظيمة ، فالإنسان المصاب بهذه المتلازمة يعيش في جحيم من الألم النفسي ، فهو يعمل يومياً بشكل متكرر على فحص كل ميلي متر من جسده بحثاً عن إصابة تعرض لها دون أن يشعر ليعالجها قبل أن يصيبها الإنتان و ينتشر ليسبب تسمم الدم فيودي بحياته .. لذا احمد الله على نعمة الألم يا صديقي فلولاها لما كنت موجوداً الآن و **الألم هو توأم الحكمة** بالمحصلة.

❁ معضلة هاينز :

سؤال أخلاقي طرحه **كولبرج** في دراساته حول التطور الأخلاقي. تدور فكرته حول رجل يُدعى **هاينز** يُفكّر في سرقة دواء لا يملك ثمنه لإنقاذ زوجته المُحتضرة، مما يثير نقاشًا حول التبعات الأخلاقية ومبررات أفعاله المُحتملة ..

قد يتذرع البعض في هذه الحالة بأن الضرورات تبيح المحظورات .. لكن في الحقيقة هذه القاعدة الشرعية صحيحة عندما يتعلق الأمر بك و فقط ، أما في حالة سرقة الدواء فأنت ربما حرمت شخصاً آخر من حقه الشرعي به أو تسببت بضرر مادي أو وظيفي لمن سرقت منه الدواء ، أما الحل الأخلاقي و الديني الوحيد في هذه الحالة هو الإيمان بالله و بأنه متى شاء شيئاً سيحدث ، فإن كتب لزوجتك النجاة فسيرسل لك طرائق لا تنتهي لتنقذها ، أما إن أراد لها الموت فهذه نهاية حياتها .. أنت هنا أخذت بالأسباب كلها و لم تتمكن من إنقاذها ، إذن سلم أمرك لربك و هو عليم بما يجري معك و يختار لك و لزوجتك المصير المناسب بلا أدنى شك ..

❁ التفكير خارج الصندوق :

يقول أفلاطون :

(الحياة الخالية من البحث والتأمل لا تليق بإنسان)

في الحقيقة ربما كانت هذه أول دعوة صريحة للبشرية كي تفكر خارج الصندوق ، فما التأمل سوى أول خطوة لتحقيق ذلك .. فالإنسان المنكب على واقعه و محيطه

سيبقى حبيساً لهما ، أما التأمل فيحرر العقل من قيوده و يدفعه للتفكر خارج المحيط فيضع الافتراضات و يتابع الاحتمالات حتى ينتهي تأمله بفكرة جديدة أو اكتشاف آخر .. لذا لا عجب أن نجد القرآن الكريم يحثّ الناس على فعل ذلك فنجده غزيراً بأفعال تدعو للتدبر و التأمل و النظر بعيداً .. و لو لم يكن الإسلام كذلك لما أحدث ثورة في المجتمع الجاهلي فغير عاداته المذمومة السائدة منذ قرون بشكل جذري ، و هذا بحد ذاته تفكير خارج الصندوق ، و **ما أشبه الكعبة بهذا الصندوق** ، فالعرب كانوا منكبين على عبادة الأصنام فيها ، ثم أتى نبي الرحمة و جعلهم يفكرون خارجها إلى أبعد حدود السموات ليكتشفوا أن الله الأحد الصمد حقيقة و يعبدوه.

❁ العلاقات السامة :

يقول المتنبي :

و من العداوة ما ينالك نفعهُ

و من الصداقة ما يضر و يؤلمُ

أكبر الآلام و المشاكل في حياتنا لا تأتي من الأعداء ، بل من المقربين الذين يتنكرون في زي الأصدقاء ، فهؤلاء مفروضون علينا بحكم الدماء أو الدين أو العرق أو الوطن و السائد أن تتقبلهم و تسمح لهم بالاقتراب منك ، لكن ماذا لو كان ذاك الصديق شخصاً سايكوباثياً ، أو عدواً متنكراً في زي صديق ، عندها أنت تدخل حرفياً قاتلك إلى منزلك .. ربما يتسبب لك بضرر نفسي عميق و ربما يودي بحياتك نفسها ..

لذا فمعيار الصداقة ليس أياً مما ذكرناه ، بل بالراحة النفسية و السعادة التي يمنحها الطرف الآخر لنا ، عندما يمنحنا حقوقنا و يحرص على نجاحنا و يفرح لفرحنا .. أما من يمتص طاقتك و سعادتك ، و ينتظر دموع عينيك ليتلذذ بها فهو مجرد منافق يضع قناع الصداقة على وجهه و سيسقط قناعه عاجلاً أم آجلاً و يفضح نفسه ، لأن الصدور تضيق بالادعاءات و ستخرج عاجلاً أم آجلاً إلى اللسان كما يقول الإمام علي :

(المرء مخبوء تحت لسانه)

❁ فلسفة وابي سابي :

تخيل للحظة أنّ كل البشر كاملون بدءاً من الشكل و انتهاءً بالمضمون ، فأي قيمة للحياة عندها ، سيتحول الكمال إلى نقص و التمام إلى عيب ، و سنسأم بعد فترة وجيزة من الكمال بعينه .. إن تميز البشر عن بعضهم ناجم بالأساس من توزع العيوب و المزايا عليهم بنسب مختلفة لا تتشابه بين أي اثنين ، مما يجعل كل إنسان تحفة نفيسة بحد ذاته لا يشببها أحد و هذا هو الكمال الحقيقي .. و في اليابان تشيع فلسفة تدعم هذه الفكرة بشكل جميل تدعى **فلسفة وابي سابي** التي تتبنى العيوب وعدم الكمال كجزء من الجمال .. فالضرر من وجهة نظرها لا يعني بالمطلق القباحة أو التلف ، بل قد يعني التميز و الاختلاف !!

تخيل معي لو أن كواكب المجموعة الشمسية الثمانية كلها نسخة طبق الأصل عن كوكب الأرض ، لفقد كوكبنا العزيز حينها مكانته و قيمته في عيوننا و عيون الكون ، في حين أن اختلاف كل كوكب منها عن الآخر يمنح التفرد و التميز للجميع في لوحة فنية مبهرة ..

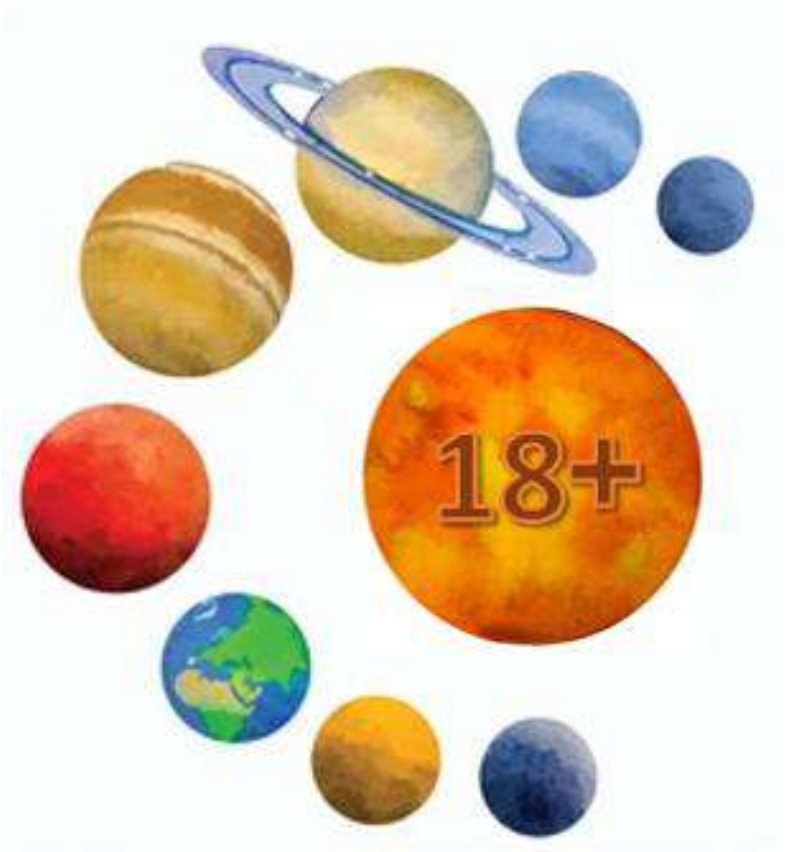

❁ الضوء و الماء كل الحكاية :

يقال أن الأمازون هو رئة الكوكب .. فهو بفضل غاباته الكثيفة ينقي الهواء و يمدنا بالأكسجين باستمرار ، و في الحقيقة إذا تقفينا أثر هذه الغابات لعثرنا على الحقيقة الأكبر و الأجمل في الحياة ، أنّ الشجرة هي سر الحياة البشرية التي لا غنى لها عن الأكسجين و الغذاء ، أما

الضوء و الماء فهما سر حياة الشجرة نفسها و بالتالي سرّ الأسرار الأول .. النقطة التي بدأ منها كل شيء و سيعود إليها كل شيء .. لذا نجد القرآن الكريم أعطى الضوء و الماء مكانة خاصة لم يمنحها لأي شيء آخر في الوجود ، فمن أسمائه الحسنى النور ، كما أنه جعل من الماء كل شيءٍ حيّ .. و لنا في تكوين السماء التي جعلها الله رمزاً له (كل الحضارات آمنت أن الآلهة تقيم في السموات) خير برهان على ذلك ، فهي زرقاء كالمياه و تمنح الماء نفسه بالمطر و يشع منها نور الله ليمنح الضياء للأرض و الطبيعة ..

❁ خرفان بانورج :

فلسفة القطيع إحدى أشيع و أخطر الفلسفات عبر التاريخ ، و تكمن خطورتها في أن فكرة خاطئة واهمة واحدة

قد تنتشر في المجتمعات و تكبر ككرة الثلج ، لأن الناس يميلون لتغييب التفكير الذاتي و النقد الأعمق في كثير من الأمور الكبرى ، كي يرتاحوا من العبء و تحمل التبعات ، فيضعون ثقتهم في أشخاص يفكرون عنهم ثم يمشون خلفهم كالقطعان و ينفذون أوامرهم دون سؤال أو تفكير .. فإن كان الرأس انتهازياً منافقاً ، لحق به القطيع إلى الهاوية و هو يبتسم و يغني كما حدث في قصة خرفان بانورج الشهيرة بالضبط .. أما الصواب فهو أن يكون كل فرد من القطيع راعٍ على عقله ، يضع أي قضية تحت مجهر العلم و النقد و يراها من كل الزوايا لا أن يكتفي بزاوية واحدة ناقصة مجتزأة ، ثم يعمل تقاطعات بين كل هذه الزوايا ليخرج بالحقيقة الشاملة .. إنه عمل مضنٍ و بحاجة لبحثٍ و تقصٍّ عميق و حثيث ، لكن النتيجة مبهرة و مصيرية .. فأنت ستنقذ نفسك من تلك الهاوية بالمحصلة ..

❁ الإله النرجسي :

يقول الله عن نفسه في أسمائه الحسنى أنه **الملك المتكبر المتعالي** .. و بعض الخلق الذين فقدوا البوصلة و نسوا موقعهم في الحياة يصفه بسبب ذلك بالنرجسية .. على كل حال لا بأس بذلك .. فالله متكبر و متعالٍ على أمثال هؤلاء ، و ذلك ليس من فراغ بل بسبب وصولهم إلى هذه الحالة من الوقاحة في التعرّض للذات الإلهية التي أوجدتهم بالأساس ..

و يجب على كل إنسان أن يتذكر الحقيقة الأهم في الحياة التي لخصها المتصوّف **شمس الدين التبريزي** بجملة بسيطة لكنها عميقة للغاية ، عله ينال خيراً منها :

(الله هو أنت .. فكما تراه تكون أنت)

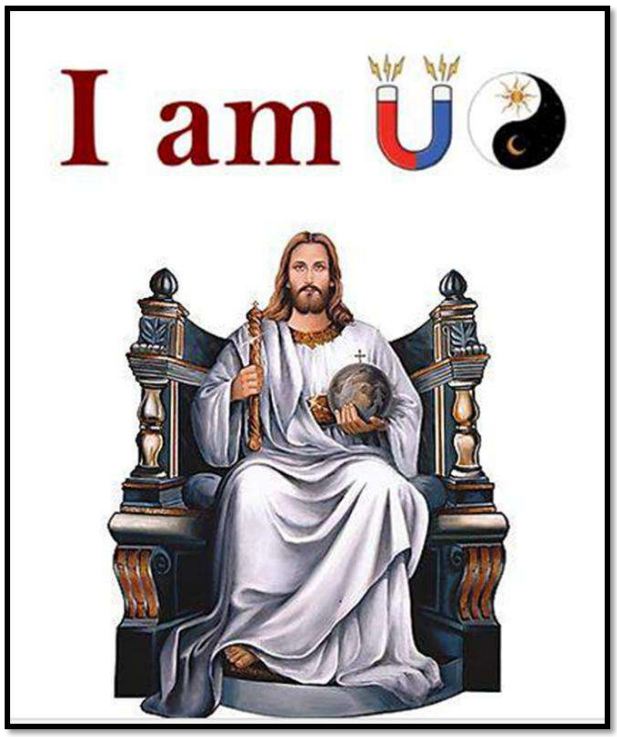

من جهة أخرى نجد :

= يسوع يقول عن نفسه : **أنا نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلام .**

= محمد يقول عن نفسه : **أنا مدينة العلم و عليّ بابها.**

إضافة إلى عشرات الأقوال في الإنجيل و القرآن على هذه الشاكلة .. فمن يراهما نرجسيان لأنهما يقولان ذلك ، فيجب أن يفكر قليلاً .. ربما المشكلة فيه و ليست فيهما .. فهما يتحدثان من الموقع الذي كلفهما الله به و هو يتحدث من موقع بعيد عن موقعه الحقيقي .

❁ أنت شخص آدمي :

عبارة شائعة في التراث الشعبي تصف الإنسان ذا الأخلاق العالية ، الطيب و المهذب .. لكن في الآونة الأخيرة عمل البعض على تحويلها إلى صفة مشينة و مهينة و كأنها تهمة ، أو أن آدم عليه السلام رجل سيء بالمطلق و أن تتبع له يجعلك سيئاً مثله .. و لتصويب هذه المغالطة الجائرة الخطيرة سنذكر ثلاث نقاط هامة :

- **أولاً ، آدم هو أبو البشر** .. و حواء هي أم البشر التي خلقت من ضلعه ، بمعنى أن آدم هو تجسيد للإله و حواء تجسيد للزيتونة (طبعاً آدم هو أب و أم حواء كما ناقشنا في جذور الزيتونة) ..
- **ثانياً، آدم هو أول الأنبياء** ، و نعته بصفات سلبية

مشينة خرق ديني و أخلاقي يرتقي لمصاف الجريمة ..

- **ثالثاً ، آدم مكرم لدرجة أمر فيها الله الملائكة أن تسجد جميعها له** ، لأنه ببساطة الله نفسه لا غير ، إلا إبليس أبى و استكبر لأنه يرى في آدم خصماً له يجب تدميره و مزاحماً له يجب تشويه سمعته ..

و بأخذ هذه النقاط جميعها معاً نجد أن آدم عليه السلام شخص ذو مرتبة عالية و استثنائية يستحق معها أن يوصف كل إنسان خلوق بأنه آدمي ، و نفهم لماذا أتباع إبليس يريدون تشويه سمعة آدم وصورته و تحويله إلى شخصية سيئة و مذمومة ، و ذلك بسبب الخصومة بين سيدهم إبليس و سيد الآدميين آدم التي بدأت برفض السجود له و المعركة بينهما التي ستستمر إلى يوم الدين

كما تحدى إبليس الله ، و التي بسببها يعمل أتباع إبليس على تحويل جملة (أنت شخص آدمي) إلى مذمة ..

❁ طفل أوملاس :

في رواية (**السائرون بعيداً عن أوملاس**) ، تتحدث الكاتبة **أورسولا لوجوين** عن مدينة سعيدة اسمها أوملاس ، و سر سعادتها أنها تسجن طفلاً صغيراً و تتركه أسيراً للحزن و الأسى و الحرمان و الوحدة ، بمعنى أن سعادة سكان المدينة كلهم قائمة على تعاسة ذلك الطفل ..

و الكاتبة تطرح هنا فكرة **كبش الفداء** التاريخية ، بمعنى التضحية بفرد لمصلحة الجماعة .. و هذه الرواية ليست خيالية على الإطلاق بل نجدها من حولنا باستمرار و كنت شخصياً شاهداً عليها بنفسي ، قبل أن أحرر ذلك الطفل من سجنه الظالم و أمنحه البسمة و

الحياة مجدداً .. الرواية تتمحور حول فكرة أنانية البشر و قيامهم بتجاوزات غير مقبولة أو معقولة بل و وحشية في أحيان كثيرة في سبيل الحفاظ على مكاسبهم و سعادتهم ..

❁ البيضة الأصل التي أتى منها كل شيء :

ليس الشرق والغرب أخوين متخاصمين كما توارثت الأذهان سرديات التاريخ والسياسة ؛ بل الأعدل أن نراهما معًا كبيضة واحدة، كاملة في شكلها، متوازنة في تناقضاتها.

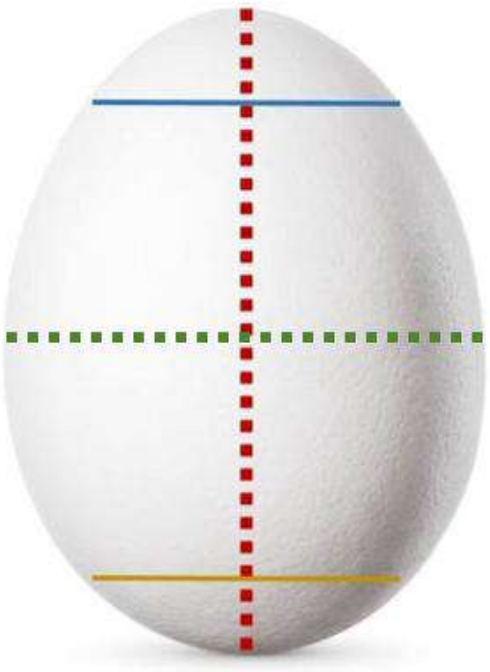

بيضة لها شرق وغرب، كما لها شمال وجنوب، تحمل في أحشائها بذور الحياة، وتحتضن التناقض بوصفه شرطًا للجمال. في البيضة يلتقي الضوء بالظل، وفيها يكمن معنى الكمال : فلا قيمة للنور إذا لم يجاوره

الظلام، ولا معنى للظلام بلا ومضةٍ تنيره. بهذا المنظور، الكلّ واحد، و الفوارق مجرّد أوهام تُغذيها رغبة البشر في الانقسام.

إن من يصرّ على تصوير العالم كحلبة صراع بين أخٍ ملائكي وأخٍ شيطاني يخطئ مرتين : مرة حين ينكر ازدواجية ذاته، ومرة حين يُشيطن الآخر ليُبرّر قصوره. أما الحقيقة فتبدو أبسط وأعمق في آن : الشرق والغرب، مع الشمال والجنوب، ليسوا سوى أوجه لبيضة واحدة، كيان متكامل لا يكتمل إلا بتعدد أبعاده. **الكمال ليس نصراً لجزء على آخر، بل هو انسجام الأضداد في كيانٍ واحد.**

النظرية الوحيدة التي أؤمن بها، وأراها عادلة، هي التي تُحررنا من ثنائية الوهم : فلا شرق ملاك معصوم، ولا غرب شيطان مطلق و لا العكس. إنهما ـــ في جوهرهما ـــ بيضتان متطابقتان، توأمان حقيقيان، كل منهما يحمل الخير والشر معًا، يحمل القدرة على البناء

كما على الهدم. وما أشبههما بخطَّين رمزيَّين يقطعان الكرة الأرضية : أحدهما **خط غرينتش**، يفصل الشرق عن الغرب؛ والآخر **خط الاستواء**، يقسم الشمال عن الجنوب. كلاهما ميزان تتهادى كفتاه على الجانبين بالتساوي مهما حاولت كل جهة أن تثقل بالأوهام و التعامي عن عيوبها كفتها ..

في هذه النقطة، لا أحد يسحب الغطاء إلى جهته وحده، بل الجميع شركاء في المعنى. المنتصر ليس طرفًا ضد آخر، بل كل من اعترف بإنسانيته المركّبة، وحمل مسؤوليته في كونه خليطًا من نور وظلال. وما أتعس ذاك الذي يصرّ على تصوير نفسه طاهراً منزّهاً، والآخر نجساً ملعوناً ! إنه بائس لأن إنكاره لا يغير الحقيقة، ومثير للشفقة لأنه يهرب من مواجهة ذاته فينغمس في خداعه.

الحكمة إذن أن نكفّ عن بناء الخنادق بين أخوين وهميين صنعناهما بأنفسنا ، بل أن نرى العالم بيضةً متكاملة، توازنها سر حياتها .. توأم متطابق يحمل كل منهما النقيضين معاً في ذاته. عندها فقط يتحقق معنى الأخوّة، لا بوصفها خصومة ولا تباهياً ، بل كياناً واحداً يعيش بتناقضاته الجميلة، ويستمر بها .. فالله واحد أحد Sunday و ليس اثنين moonday و الله لا يقبل شريكاً في ملكوته ، بل هو بيضة شاملة فريدة و أزلية

تكونت الزيتونة في أحشائها ..

❁ الله كل لا جزء :

الحقيقة الكبرى التي تقف فوق كل الحقائق، هي أن الله كُلٌّ لا جزء، وأن كل ما في الوجود إنما هو تجلٍّ لذلك الكُل، لا انعزال عنه ولا انقسام فيه. إن الله ليس فكرة من أفكار البشر ليُضاف إلى مجموعة النظريات، وليس كائناً يقف خارج الكون يراقبه من بعيد، بل هو الأصل الذي منه وُلد كل شيء من نور و ظلام ، مادة و روحانيات ، والجوهر الذي به يقوم كل شيء، والنهاية التي إليها يؤول كل شيء.

من هذا الفهم تبدأ الرحلة : رحلة الباحث الذي لا يرضى بإلهٍ صغير، محدودٍ بحدود عقله أو طائفته أو لغته، بل

يسعى إلى إدراك الإله الكلي الذي يملأ كل الفراغات، ويخترق كل المعاني .. و كما قال الإمام **جعفر الصادق** بإيضاح :

(أيًا ما كنت تظن أنه الله ، فهو غير ذلك)

لذلك فاختزال الله إلى جزئيات بعينها تجديف و تشويه وتحريف للحقائق .. كأن تقول أن الله هو الليل دون النهار ، أو القمر دون الشمس ، أو الظلام دون النور ، أو الميت و ليس الحيّ ، أو غير ذلك .. الله هو كل شيء في كل شيء ، و عند هذه القناعة ينبثق الإيمان الحقّ.

❁ نار المسيح المقدسة :

منذ أكثر من ألف عام، وفي كل عام خلال سبت النور، تشهد كنيسة القيامة في القدس حدثًا مذهلًا: ظهور لهب أزرق يشتعل ذاتيًا داخل القبر المقدس دون أي مصدر ظاهر للنار ، إنه نور يسوع المسيح اللهّاب ..

يؤكد الشهود أنه لا يحرق في الدقائق الأولى، ويُوزَّع على المؤمنين الذين يشعلون به شموعهم.

العلماء لم يتمكنوا من تفسير الحدث بدقة : هل هو ظاهرة فيزيائية نادرة، أم معجزة دينية، أم طقس طاقي غامض ؟

الجدل لا يزال قائمًا حتى اليوم .. و لكن الحقيقة الساطعة كالشمس أن يسوع نوره منه و فيه و لا يستمده من غيره ، لذلك قام حياً بعد محاولة قتله الفاشلة ليكون **الأحد** رمزاً للإله الحيّ الذي لا شريك له ، القادر بنفسه و الخالق لغيره بذلك ، لا العكس ، كما تفترض الألوهية بحقّ ، فالكون **25** الأزلي الأبدي (البيضة) كان أولاً ثم تكونت الزيتونة في أحشائه لاحقاً ، و هذا ما يختزله يسوع بحياته كلها :

25 – 12 – 33

❁ الانتهازيون :

يقول الشاعر **عنترة بن شداد** :

ينادونني في السلم يا ابن زبيبةٍ

و عند صدام الخيل يا ابن الأطايب

و هذا البيت الشعري الأيقوني يصف القوم الانتهازيين الذين يتنمرون و يتفرعون على شخص فيهم عندما تكون رياح الحياة باتجاههم ، و عندما تهب العواصف يطالبونه بالدفاع عنهم و رفع الصوت و السيف لنجدتهم .. لكن العبد في تلك القصة الذي أهانوه لسنوات طويلة بات بعدها سيداً لا ينسى و يعرف بالضبط من هم الناس المحيطون به و أي عقلية انتهازية يمتلكونها و يعتقدون أنفسهم أذكياء ، يتهامسون عليه في السر بكل ما هو سيء ، و يطلبون نجدته في العلن بمنتهى النفاق ..

هو لم ينسَ و التاريخ لا ينسى .. و بيت الشعر السابق خير دليل على ذلك .. لقد بقي **يدافع عنهم بالحقّ** رغم كل شيء ، لأن كل شخص يتعامل وفق أخلاقه بالنهاية و كل إناء ينضح بما فيه ..

❁ الخيانة لا تأتي من عدوّ :

في أرشيف الشعر بيت أيقوني يقول :

أعلمه الرماية كل يومٍ

فلما اشتدّ ساعده رماني

و هذا الشعر يختصر كل شيء ببساطة .. الخيانة لا تأتي أبداً من عدو ، فهي ليست خيانة عندها .. إنها تأتي من آخر شخص تتوقعه ، الشخص الذي نصرته و سندته و علمته ما لا يعلم ، لكن لا تكن عندها يائساً مستسلماً كما كان حال يوليوس قيصر فتقول : (**الطعنة لم تقتلني بل قتلني وجه من طعنني**) ، بل انبذ الخائن خارج حياتك و اعتمد على نفسك ، فطعنات الغدر تشفى مع الزمن ، و عندها ستستعيد بريقك و تقوم قيامة يسوع كالشمس من براثن الموت ، ففيك من روح الله نفحات ، و **الله حيّ لا يموت** ..

إنّ الثقة العمياء خطيئة بالأساس لأنها عمياء ، و الضربة المميتة تأتيك غالباً من هؤلاء ، آخر من تتوقع

أن يخونوك أو يظلموك ، لأن موتك باختصار انتصار لأنفسهم ، لذا قدّموا فوزهم على خسارتك و ظلامهم على نورك و مصلحتهم على كرامتك .. فلا تقل فلان سيف في ظهري ، لأنه سيطعنك في خاصرتك إن تطلبت مصلحته الشخصية ذلك، **بل اجعل من ذاتك سيفاً يجسد الكوكب برمته و يحارب روم الشرق من يساره و روم الغرب من يمينه في معركة يحاول كل منهما أن يلغي الآخر فيها لكنها تجمعهما على هدف واحد و هو قتلك لإسكات محاولاتك في إثبات أن الاعتدال و التوازن هما سيد الكون فقط ، حيث لا غالب و لا مغلوب .. لأن الغرب يكره القمر فيك و الشرق يكره الشمس فيك ، و كل منهما يريد الكوكب له وحده ..**

❁ لعنة المظلوم :

في عام **1963** ، حقق المدرب المجري **جوتمان** لقب الدوري البرتغالي مرتين مع نادي بنفيكا، كما قاده

لإحراز بطولة دوري أبطال أوروبا مرتين متتاليتين، أمام نادي برشلونة ونادي ريال مدري الإسبانيين العريقين ..

اعتقد المدرب عقب هذه الإنجازات التاريخية أنه يستحق زيادة في الأجر وطالب الإدارة بذلك، التي قابلت طلبه بالرفض..

غضب جوتمان من رفض النادي لطلبه، فقرر ترك الفريق، وقال جملته الشهيرة قبيل مغادرته :

(لن يفوز بنفيكا بكأس أبطال أوروبا بدوني طوال مئة عام)

و منذ ذلك اليوم خسر بنفيكا خمسة نهائيات في دوري أبطال أوروبا، و ثلاثة نهائيات في الدوري الأوروبي، الأمر الذي رسخ اعتقاداً تاماً عند أنصار النادي بوجود (**لعنة جوتمان**) ..

في عام **2014** و خلال احتفالية مرور **110** سنوات على تأسيس النادي، كشفت إدارة الفريق عن تمثال للمدرب **بيلا جوتمان** أمام ملعب النور لفك اللعنة و إرضاء المدرب في قبره ، لكن الغريب أن لعنته لا تزال مستمرة ، إذ خسر الفريق بعد ذلك نهائيين متتاليين في الدوري الأوروبي أمام تشيلسي و إشبيلية .. ليكون ذلك بالتالي عاشر نهائي متتالي يخسره النادي منذ لعنة المدرب جوتمان !!

فهل هذه مجرد مصادفة ؟ موضوع يستحق التفكير ،

أليس كذلك عزيزي القارئ ؟!!

تكرر في القرآن قول الله تعالى (**ألا لعنة الله على الكاذبين أو الكافرين أو الظالمين ..**) و في ذلك إشارة صريحة من الخالق إلى أن اللعنة حقيقة و ليست مجرد خرافة .. و كما أنّ لله لعناته فإن للأتقياء و الصالحين من أتباعه لعناتهم الخاصة .. و لا تدري عزيزي القارئ فإن الله يضع سره في أضعف خلقه ، فلا

تستهزئ بمن لا يعجبك شكله أو كلامه أو هندامه أو من حرمته الحياة من المال أو السلطة أو الجاه فتظلمه أو تتعامل معه بلا احترام أو تقدير ، فقد تكون كلماته و دعاؤه عليك أكبر لعنة تعصف بحياتك فتدمرها .. و تذكر على الدوام بأن لعنة المظلوم أخطر بكثير من لعنة الفراعنة المشهورة ، فالأولى تشق عنان السماء لتصل آنياً إلى الخالق العادل المنتقم الجبار فيستجيب لها كما وعد ، أما الأخيرة فهي على الأرجح سحر أسود أو خدعة ما بإطلاق مواد أو غازات سامة من نواويس المومياوات تفتك بالجسم سريعاً ..

❁ سرقة العرش و قرصنته :

ما هو المقياس الذي يمنحك شرعية عرش السماء ؟ أهو **الشكل** ؟ بالطبع لا .. أهو **الجاه** ؟ لا أيضاً .. أهو **السلطة** ؟ إطلاقاً .. أهو **المال** ؟ أبعد ما يكون .. فما أكثر البشر الذين يمتلكون ما سبق .. أهو **أن تحمل لفظ الجلالة في اسمك** ؟ كان كل عباد الله آلهة ، لا سيما إن فهمت معنى اسمك خطأ فتحولت من داعم و مجاهد في سبيل عزة الله إلى شخص مهووس بالعرش و بالانتصار لنفسه لا لله الذي لم يطله منه سوى الأذى و التشويه و التضييق .. **أن تعمل** ؟ مَنْ مِنَ البشر لا يكد و يعمل شرقاً و غرباً كي يستمر في الحياة ، بل إن الغرب أكثر البشر عملاً و اجتهاداً ، في حين البعض

يعيش برفاهية كاملة لا يحتاج فيها شيئاً و يعمل بالحد الأدنى المطلوب و يوهم الناس بعكس ذلك .. **أن تكون ذا خلق** ؟ التنمر و التفرعن و التضييق على المستضعفين كي يسجدوا سجدتين تحت عرشك الوهمي ، و أن تقنع أنثى اصطفاها الله حباً صوفياً له بالزواج من شخص بمواصفات معينة تشبهك كي تقنع العالم أنك فتحتها و " انتصرت " لأن هذه ثقافتك و حدود فهمك لله ليس من الأخلاق بشيء ، بل جريمة مكتملة المعايير لم يسبقها جريمة في التاريخ ..

أهو أن تبتكر و تبدع ؟ أبداً ، و إن كان البعض أكثر البشر عجزاً عن فعل ذلك ، بل يسلبطون على ابتكارات الآخرين ثم يعيدون تدويرها و نسبها لأنفسهم أو يستخدمونها ضدهم بقلة أصل لا مثيل لها ..

إذن ما هو المقياس ؟

المقياس ببساطة أن تفعل أشياء يعجز البشر الآخرون عن فعلها و لا يفعلها سواك أنت ، كأن تنجب الزيتونة إلى الوجود و تشرح ماهيتها .. أن تحدد فترة الحياة البشرية .. أن تحدد موعد يوم القيامة .. أن تشرح ماهية الروح التي كانت طوال التاريخ لغزاً عصياً .. أن تضع فرضيات جديدة تجلو غموض أمور كثيرة .. و بالطبع أن تثبت بالمنطق العقلاني ما هي ماهية الله ، لا تبعاً للأهواء و المصالح الشخصية كما يفعل البعض معتمدين فلسفة سرير بروكرست و الانحياز التأكيدي ..

و بأخذ كل الأمور السابقة بعين الاعتبار ، أعتقد أن الله واضح لكل من لديه **عقل و ضمير و امتنان** .. و من حاول و يحاول سلب العرش من الله بعد كل ذلك و يحاول تشويه صورته و سمعته ، كي يتنازل له عن عرشه بالضغط و الترهيب و الإذلال ، هو إنسان مشرك ، جاحد ، مغرور ، مجرم و قليل أصل يرفض السجود لآدم **999** أبي البشر و أول الأنبياء على خطى سيده الشيطان الرجيم **666** ، و سيضعه الله في الخانة الصحيحة التي تناسبه .. فلله العزّة دائماً و أبداً مهما حاول بعض التائهين المتكبرين الواهمين و الحمقى أن يذلوه ..

فإنكار الله قبل و بعد صياح الديك و محاولة إطفاء نوره بأفواههم و شعاراتهم الجوفاء هو الشيء الوحيد الذي يتقنونه في الحياة و يرفدون البشرية به .. و أمثال هؤلاء هم دائماً أمام الجماعات التي تكافئهم بالحجم أرانب هاربة لا يمكنها تغيير الواقع قيد أنملة ، لكن أمام الأفراد العزّل أسود مغاوير يحققون الانتصارات الدونكيشوتية عليهم ، و كم هي جريمة مثيرة للشفقة و العار في آن ..

****

في ختام مقاربتنا للنقاط الفلسفية السابقة التي تتناول جوانب شتى من مختلف أقاليم الحياة ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لا أريد أن يتفلسف أحد عليّ ، الفلسفة كلام فارغ لا يقدم و لا يؤخر ..

بل أن نقول :

= الفلسفة هي أمّ الحكمة و البلاغة و المنطق .. و ربّ عظة فلسفية وحيدة تسمعها تغير حياتك جذرياً نحو الأفضل ، فلا تغلق قلبك و عقلك عن سماعها ..

يقول الأديب الروسي الشهير **مكسيم غوركي** :

(لا تستطيع أن تفعل أي شيء بلا فلسفة، لأن كل

شيء له معنى خفي علينا إدراكه)

و القراءة بين سطور الحياة فنّ راقٍ لا يتقنه إلا الفلاسفة ، و على البشر أن يستفيدوا من عصارة تجارب هؤلاء و محاكماتهم لعقود طويلة و التي وصلت إلى الناس بدون جهد أو ضريبة منهم ، فهل من المنطق أو العقل أن يتذمر الإنسان من ثروة يمنحها له الآخرون بدون مقابل فيرفضها أو يدوسها أو يرمي بها !؟

جذور الزيتونة ...

E PLURIBUS UNUM
S.L.B.